لمحات في شعر التمرد والثورة العربية المعاصرة

د. جليل كمال الدين

كلية الاداب - جامعة بغداد

« كانت اوائكم في وحدة تركت
اعداءهم قددا في قبضة الرهب
سلو بذاكم اليرموك واديه
فانه بسوى ما قلت لم يجب
عن خالد بطل الابطال يخبرنا
اذ فل جيش العدا بالقتل والهرب
والقادسية عن سعد محدثة
بقتل رستم رب العسكر اللجب »
« معروف الرصافي »

(يحاول الباحث ان يتابع ، ويستقري فصولا حافلة بالدلالة والمغزى من ملحمة شعر التمرد والثورة العربية المعاصرة ، مستلخصا الاستنتاجات اللازمة ، وهو يبدأ البحث بوقفة لابد منها عند اصول هذا الشعر ، وعيون تراثه في الشعر العربي القديم والوسيط ، ثم يقف وقفات عند شعر التمرد والثورة العربية المعاصرة في فلسطين ، والمغرب العربي (تونس والجزائر بخاصة) ، وسوريا ولبنان ، ومصر ، والسودان . ولضخامة الرصيد العراقي في هذا الشعر ، جاءت الوقفة ، لديه ، اطول نسبيا ، وذلك امر مسوغ ومفهوم ، خصوصا وان القطر العراقي يعيش الان معركة جديدة من المعارك القومية الفاصلة) .

— ١ —

اذا تقصينا أصول شعر التمرد والثورة العربي ، فاننا سنجد ان الخلفية الايديولوجية ، الفلسفية ، الجمالية ، هنا ، واسعة ، رحبة جدا ، ذلك انها تمثل جماع وجود العربي ، وجوهر حياته ، واخلاقه ، وقيمه . فالعربي ثائر يأبى الضيم (أي ضيم) شعاره الجود بالنفس فدى للشرف والكرامة والوطن ، والجود بالمال وكل ما ملكت الايدي ترفعا عن الدنايا ، والصغائر ، واكراما ، ونجدة للمستغيث والملهوف .

واللوحة هنا تمتد من أيام العرب قبل الاسلام ، في فجر تاريخهم الاول حتى حقبة متأخرة من الزمن . وهي لابد ان تتناول الجاهلية ، والعصور الاسلامية المختلفة ، وخصوصا الحروب مع الروم ، والحروب الصليبية والمغولية . هكذا هو رأي د.شوقي ضيف،في كتابه «البطولة في الشعر العربي»[1] . اما صاحب كتاب «شعر الحرب في ادب العرب، في العصرين الاموي والعباسي الى عهد سيف الدولة»[2] د. زكي المحاسني ، فهو يرى ان شعر الحرب ، وهو يتضمن شعر البطولة ، بالضرورة ينبسط لواؤه ما بين الجاهلية وعصر سيف الدولة (اذ لم يدرس المحاسني عصور ما بعد سيف الدولة ، وخصوصا الحروب الصليبية والمغولية ، وهي حروب حاسمة ، وخطيرة ، ومصيرية) . ويفصل المحاسني في شعر الحرب عند الخوارج ، والشيعة ، والزبيريين ، وفي ظل الامويين ، والفروسية القبلية ، وشعر الحرب عند الهجائين (الاخطل والفرزدق وجرير) ، وفي شعر الحرب الخارجية زمن بني امية (الحرب ما وراء خراسان وحرب الروم) . كما يفصل ، بذات القدر او اكثر ، في شعر الحرب في العصر العباسي الاول ،

---

(١) د. شوقي ضيف «البطولة في الشعر العربي» . اقرأ ٣٣١ . دار المعارف بمصر ، يوليه سنة ١٩٧٠ .

(٢) د. زكي المحاسني ، «شعر الحرب في ادب العرب ، في العصرين الاموي والعباسي الى عهد سيف الدولة مكتبة الدراسات الادبية» ، ٢٣ دار المعارف بمصر ، ١٩٧٠ (الطبعة الثانية) .

فيقف وقفات مطولة ، نسبيا ، عند الحرب الداخلية ، والحرب الخارجية (الحرب مع بابك الخرمي ، خلود الطوسي ، فتح عمورية ، اسد الثغور ، روميات البحتري) ، والحروب البحرية . واخيرا ، فهو يتابع ، على نحو مدقق ، خصوصيات شعر الحرب في ظل الحمدانيين ، وبخاصة حروب سيف الدولة من شعر المتنبي (معركة خرشنه ، معركة الثغور ، معركة الحدث الحمراء ، معركة الدرب) ، وشعر الحرب عند أبي فراس الحمداني .

وكتب الدكتور نوري القيسي كتابا بعنوان (شعر الحرب عند العرب) اصدرته (الموسوعة الصغيرة) في وزارة الثقافة والاعلام ، ببغداد ، وكان قد نشر اكثره في صحيفة (الجمهورية) البغدادية[٣] .

ان هذه الكتب الثلاثة (كتاب شوقي ضيف ، وكتاب المحاسني ، وكتاب القيسي) تكمل احدها الاخر ، وتترافد ، جميعا ، في تقديم الصورة الاصيلة ، الوافية لشعر الحرب والبطولة في الادب العربي القديم والوسيط .

ومن هذه الكتب الثلاثة ، ومن حماستي (الطائي ـ أبي تمام) ، و(حماسة البحتري) و (حماسة الخالديين) ، وايام العرب لابي عبيدة (وكتاب الايام ـ دراسة مقارنة للدكتور عادل البياتي)[٤] ، نستطيع ان نفهم ان شعر الحرب والبطولة العربي القديم وافر وغزير ، تميز بخصوصيات خاصة ، في كل عصر وحقبة زمنية من التاريخ العربي ، وان هذا الشعر يعتبر من مفاخر الشعر العربي والثقافة العربية ـ الاسلامية ، وهو في الذروة من شعر البطولة والفروسية والقتال العالمي ، وفي الذروة كذلك من شعر التمرد والثورة في العالم .

ان ما يهمنا ، هنا ، هو الاشارة الى الاصول الراسخة لشعر التمرد والثورة والبطولة والحرب العربي ، دون ان نفصل في ذلك ، فهذا ليس

(٣) د. نوري القيسي «شعر الحرب عند العرب» الموسوعة الصغيرة ٨٧ دار الجاحظ ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام ـ بغداد .

(٤) كتاب ايام العرب قبل الاسلام . لابي عبيدة ـ دراسة مقارنة لملاحم الايام العربية ـ ، تأليف ـ د. عادل البياتي ، بغداد .

موضوع بحثنا ، وقد تصدى لبحثه اساتذتنا وزملاؤنا في العراق والوطن العربي فوفوه حقه .

وحسبنا ، هنا ، ان نشير الى بعض من اهم نماذج هذا الشعر في الادب العربي القديم .

فقد صور الاعشى معركة ذي قار المجيدة بمثل هذا الشعر :

«وجند كسرى غداة الحنو صحبهم
منا غطاريف ترجو الموت فانصرفوا
لما أمالوا الى النشاب ايديهم
ملنا ببيض فظل الهام يقتطف
وخيل بكر فما تنفك تطحنهم
حتى تولوا وكاد اليوم ينتصف
لو ان كل معد كان شاركنا
في يوم ذي قار ما أخطاهم الشرف(٥)»

كما قدم الفارس العربي الخالد عنترة بن شداد العبسي لوحة متكاملة للقيم الخلقية ، الجمالية ، الفكرية للبطولة العربية :

«اثني علي بما علمت فانني
سمح مخالقتي اذا لم أظلم
فاذا ظلمت فان ظلمي باسل
مر مذاقته كطعم العلقم
واذا شربت فانني مستهلك
مالي وعرضي وافر لم يكلم
واذا صحوت فما أقصر عن ندى
وكما علمت شمائلي وتكرمي

---

(٥) ديوان الاعشى . كذلك «البطولة في الشعر العربي» ـ مصدر سابق ـ ص٢٥ .

هــلا سألت القـــوم يا ابنــة مالـــك
ان كنت جاهلـــة بما لــم تعلمـــي
يخبــرك من شـــهد الوقائع أننـــي
اغشى الوغى واعف عنـــد المغنـــم»(٦)

ـ «لا تسقني مـــاء الحيـاة بذلـــة
بل فاسقنـــي بالعـــز كأس الحنظـــل
ولقــد ابيـــت على الطـــوى وأظله
حتى انال به كريـــم المأكـــل(٧)

وجاء قطري بن الفجاءة المازني بقطعة قدمت حوارا ذاتيا شـــعريا رائعا ، تبين فيه بعض اسرار البطولة والفروسية العربية ، الاسلامية ، على مدى التاريخ :

اقول لها وقــد طـــارت شعاعـــا
من الابطـــال ويحـــك لـــن تراعـــي
فانـــك لو سألـــت بقـــاء يـــوم
على الاجـــل الـــذي لـــك لـــم تطاعي
فصبرا في مجـــال المـــوت صبرا
فما نيـــل الخلـــود بمستطـــاع
ولا ثـــوب البقـــاء بثـــوب عـــز
فيطوى عن اخـــي الخنـــع اليـــراع
ســـبيل المـــوت غايـــة كـــل حي
فداعيـــه لأهـــل الارض داعـــي
ومن لايعتبط يســـأم ويهـــرم
وتسلمـــه المنـــون الى انقطـــاع

(٦ و ٧) ديوان عنتره بن شداد ـ بيروت ـ كذلك شرح المعلقات السبع للزوزني . كذلك البطولة في الشعر ـ مصدر سابق ، ص٢٧ـ٢٨ .

وما للمـــرء خـــير في حيـــــاة
اذا ما عـــد من سقط المتـــــاع»[٨]

وقد حفظ لنا شعر البطولة والحرب القديم وكرس حب العربي حريته، وعشقه لكرامته وعزته ، وجوده حتى بروحه في سبيل ان يسلم عرضـــه وشرفه وكرامته . انها ليست الحـــرب للحرب بل الحـــرب دفعا للضيم ، والاحتلال ، والذل والعبودية ، كقول قيس بن الخطيم :

«وكنـــت امرءا لا ابعث الحـــرب ظالمـــا
فلما أبـــوا اشعلـــت من كـــل جانـــب
أربـــت بدفـــع الحـــرب لما رأيتهـــا
على الدفـــع ، لاتزداد غـــير تقـــارب
اذا لم يكـــن عن غايـــة الحرب مدفـــع
فاهـــلا بها ، اذ لم تـــزل في المراحب
رجال متى يدعوا الى الحـــرب ، يرقلـــوا
اليهـــا ، كارقال الجمـــال المصاعـــب»[٩]

ولعل ابا الطيب المتنبي يلخص ، بأوفى شكل ممكن ، صفات بطلـــه الايجابي ، من خلال تصويره الواقعي الدقيق شخصية البطل العربـــي والفارس المشهور ، سيف الدولة الحمداني ، باعتباره رمز الفتوة العربيـــة والفتى العربي الصنديد :

ـ «الجيش جيشـــك غير انك جيشـــه
في قلبـــه ويمينـــــه وشـــماله

---

(٨) يراجع شعر قطري بن الفجاءة في ـ ادب الخوارج ـ وشـــعر الخوارج ـ كذلك ـ الشعر السياسي حتى منتصف القرن الثاني ـ لاحمـــد الشايب ، كذلك ـ البطولة في الشعر ص٥٥ . كذلك شعر الحرب في ادب العرب للمحاسني ـ مصدر سابق ـ ص٦٥ ..

(٩) تراجع مجلة ـ الاقلام البغدادية ـ العدد الاول ١٩٨٠ ، الصادر في تشرين الثاني ١٩٨٠ ، بحث . من اخلاقيات المقاتل العربي (لطراد الكبيسي) محور خاص الادب والمعركة .

ترد الطعـــان المر عن فرســـانه
وتنازل الابطـــال عـــن ابطالـــه
كل يريـــد رجالـــه لحياتـــه
يا من يريـد حياتـــه لرجالـــه»(١٠)

ـ «فتى لايرى احســـانه وهو كامـل
له كامـــلا حتى يرى وهـــو شامـــل
اذا العـــرب العربـاء رازت نفوسهـا
فأنـــت فتاها والمليـك وهو الحاصـل
اطاعتـــك فيّ ارواحهـــا وتصرفـــت
بأمـرك والتفت عليـــك القبائـــل
وكـل انابيـــب القنـــا مـــدد له
وما تنكـت الفرســـان الا العوامـــل
رأيتك لو لم يقتض الطعـــن فيّ الوغى
اليك انقيادا ، لافتضته التمائـــل»(١١)

ـ «ووضع الندى في موضع السيف بالعلى
مضر كوضـع السـيف فيّ موضـع الندا
ولكن تفـوق الناس رأيا وحكمـــة
كما فقتهم حالا ونفســـا ومحتـدا»(١٢)

هذا هو بطل المتنبي ، ورمز الفتوة العربية ، سيف الدولة : شجاعة ، وحكمة ، وعقل ، ورأي ، وشمائل ، وسخاء لاحد له . انها الشجاعة في كـل شيء:في الحرب ، في البذل ، في النصح والمشورة ، في ضبط النفس ، والنظر البعيـــد .

(١٠ و ١١ و ١٢) يراجع ديوان المتنبي ، تحقيق وتقديم عبدالوهاب عزام ، ـ السيفيات ـ الطبعة الاولى ، ١٩٤٤ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهـــرة .

حتى اذا جئنا ايام الحروب الصليبية . وهي ايام عسيرة جـدا على العرب والدولة العربية ، الاسلامية ، فقد كانت مصيرية ، حاسمة ، ولكـن بطولة الامة العربية والجيش العربي ، الاسلامي تحت قيادة صلاح الدين الايوبي حسمت الامر لصالح الدولة العربية ــ الاسلامية ، وكسحت عـار الاحتلال الصليبي اللاتيني (الذي تحالف مع المغول ، احيانا ، ضد المسلمين)، وهاهم الشعراء : ابن سناء الملك ، والعماد الاصبهاني ، والجويني يصورون بطولة صلاح الدين ــ فيقول العماد الاصبهاني ، مثلا :

«حططت على حطـــين قـــدر ملوكهم
ولم تبق من اجنـاس كفرهـم جنســا
بواقعة رجت بهـا الارض جيشهـــم
دمارا كمـا بسـت جبالهـــم بســا
بطون ذئاب الارض صـارت قبورهـــم
ولم ترض ارض ان تكون لهم رمسا»(١٣)

ويقول ابن عنين في صنيع السلطان الكامل ودحره الصليبيين في دمياط:

«سلوا صهوات الخيـل يوم الوغى عنـا
اذا جهلت اياتنـا ، وألقنـا اللدنـــا
غـــداة لقينـــا دون دميـاط جحفـلا
من الروم لايحصى يقينـــا ولا ظنـــا
فما برحت سمر الريـــاح تنوشـــهم
بأطرافهـــا حتى ستجاروا بنـا منـــا
سقيناهـم كأسـا نفت عنهـم الكـرى
وكيف ينام الليـــل من فقـد الامنـــا
لقوا المـــوت من سن الاسنة احمـرا
فألقوا بأيديهـــم الينا فأحســـنا»(١٤)

(١٣) البطولة في الشعر مصدر سابق ص ٩٠ــ٩١ .
(١٤) نفسه ، ص٩٨ــ٩٩ .

اما الحروب المغولية فقد سجل الشعر العربي فيها بطولة المقاتلين العرب والمسلمين وانتصارهم الحاسم على المغول في معركة عين جالوت بفلسطين ، فقال الشهاب محمود يهنيء الظاهر بيبرس ، القائد الظافر ، بهذا النصر العظيم :

«سر حيث شئت لك المهيمن جار
واحكم فطوع مرادك الاقدار
لم يبق للدين الذي اظهرته
يا ركنه عند الاعادي ثار
شكرت مساعيك المعاقل والورى
والترب والاساد والاطيار»(١٥)

وهكذا ، نستطيع ان نقول ، ان الخلفية التي ترتكز اليها اللوحة المعاصرة لشعر التمرد والثورة والبطولة في الادب العربي ، خلفية واسعة ، غنية بالدروس والعبر وهي تراث باذخ ماجد .

— ٢ —

ان لوحة ادب التتمرد والثورةوالمقاومة في الشعر العربي المعاصر غنية جدا ، حافلة بالكثير من المعطيات ، واعدة بالمزيد من الانتصارات والمكاسب والانجازات الشعرية الثورية ، وبالمزيد من التجاوز والتخطي والشمولية والانسانية والعالمية . ناهيك عن شدة الحضور ، والحس الاجتماعي ، والانتماء الثوري القتالي .

ولعل الصحيح ان نبدأ حديثنا عن الشعر العربي المقاتل المعاصر ، بالشعر العربي الفلسطيني ، وشعرائه المقاومين بالكلمة — الرصاصة .

قاومت فلسطين العربية بالعديد من شعرائها الطليعيين ، الذين نجد في سجلهم ، مثلا ، شعراء مجيدين ، امثال ابراهيم طوقان وابي سلمى

(١٥) نفسه ، ص ١٠٧ .

والخطيب وفدوى طوقان ومحمود درويش وسميح القاسم واحمد دحبور وتوفيق زياد وسالم جبران وكمال ناهر ومعين بيسو وخالد ابي خالد وخالد علي مصطفى وشوقي العمري وغيرهم • ان الشاعر الحق ، الشاعـــر في فلسطين المحتلة لايمكن ان لايتغنى بالمقاومة ، لانه اذ ذاك سيفقد كونـــه شاعرا ، وسيتحول الى خائن لرسالة الشعر ، ورسالة الحياة • فالشاعـــر ضمير شعبه ، ومادام الشعب مضحيا يقاوم ، ومضطهدا يقاتل ، فالشاعر في طليعة شعبه يقاوم معه ، يقاتل معه ، بالكلمة واحيانا بالندقية حتى تنتصر ارادة الشعب وارادة الكلمة المقاتلة •

ومن هنا ، فاننا نجد سميح القاسم ، مثلا ، يترجم حديث الشـــعب العربي في فلسطين المحتلة بشعر مقاتل فصيح البيان ، عميق الدلالة والمغزى، فيقول في قصيدة له عن السلام الزائف :

«أيغن غيري للسلام
وهناكَ ••• خلفَ حواجز الاسلاك ••• فيَ قلب الظـــلام
جثمت مدائن من خيام
سكانها ••••
مستوطنات الحزن والحمى ، وسل الذكريات
وهناك ••• تنطفىء الحياة
فيَ ناســـنا
فيَ أبرياء ••• لم يسيؤا للحياة !
وهنا ••• !
همت بيارة من خلفهم ••• خيرا كثيرا
اجدادهم غرسوا لهم
ولغيرهم ، يا... ، الخير الكثير
ولهم من الميراث احزان السنين !
فليشبع المتضورون !

وليشبع الايتام من فضلات اللئام !
ليغن غيري للســـلام ...
فعلى ربى وطني ، وفيّ وديانه ... قتل السلام»(١٦) .

ولد سميح القاسم وعلى شفتيه لغة القتال . يقول سميح القاسم ، في حديث له : اعتبر ميلادي الحقيقي سنة ١٩٤٨ ، لان الصور الاولى التي اذكرها هي صور احداث ١٩٤٨ . اول ما اذكره من الحالات ، ذلك العام ، هو فرح العرب بدخول «جيش الانقاذ» الى فلسطين ، ثم دموع هـــؤلاء الناس حين انسحب هذا الجيش ... وعساكر الجنود الاسرائيليين يخلعون الابواب ا ينهبون البيوت ، ويصنفون الســـكان الى مسيحيين ودروز ! وكانت هذه بداية السياسة الطائفية التي لاتزال السلطات الاسرائيليـــة تواصلها حتى اليوم(١٧) .

وقد كتب سميح القاسم عدة دواوين ومسرحيات شعرية من «مواكب الشمس » فيّ ١٩٥٨ ، و «اغاني الدروب فيّ ١٩٦٤ ، ارم فيّ ١٩٦٥ و « دمي علي كفي» فيّ ١٩٦٧ ، و «دخان البراكين» في ١٩٦٧ ، و «سقوط الاقنعـــة» «وقرقاش» وهي مسرحية شعرية كتبها فيّ السجن .

ويتميز شعر القاسم بالتفاؤل الواعي ، وصلابة المقاومـــة بشتى الوسائل والاساليب ، والتعاطف الثوري الانساني ، وحرارة واصالـــة الطابع القومي العربي :

«دم اسلافيّ القدامى لم يزل يقطر مني
وصهيل الخيل ما زال ، وتقريع السيوف
وانا احمل شمسا فيّ يميني واطوف
فيّ مغاليق الدجى ... جرحا يغني!!»(١٨)

ولعل من اروع قصائد الشاعر (خطاب في سوق البطالة) ، فهـــو

(١٦ و ١٧ و ١٨ و ١٩) المجموعة الشعرية الكاملة ، لسميح القاســـم دار العودة بيروت .

يلخص ، هنا ذروة تطلعات الكادح العربي الثائر ، الذي سيبني الاشتراكية، بعد ان يطرح قيوده واصفاده ، وتتمركز هذه الذروة الان في محورين : النضال المستميت حتى النصر ، وعدم المساومة مع المحتل الغاصب :

«ربما افقد ــ ماشئت ــ معاشي
ربما اعرض للبيع ثيابي وفراشي
ربما اعمل حجارا ... وعتالا ... وكناس شوارع
ربما ابحث في روث المواشي عن حبوب
ربما اخمد عريانا ... وجائع ...
ياعدو الشمس ... ولكن ... لن اساوم
والى اخر نبض في عروقي ... ساقاوم»(١٩)

ويشارك محمود درويش سميح القاسم في نوعية ومستوى الولادة الشعرية الثورية ، فهو يقول ، ان اول شيء وعاه في طفولته هو صوت الرصاص الصهيوني الغادر يغتال العرب المقاتلين وغير المقاتلين في حلك ليل اسود ، وكان ذلك عام ١٩٤٨ • واذن ، فان مقولة محمود درويش قد تعمدت بالدم ، وقد ولدت على سمفونية القتال ، بل انها ، وكما يقول هو بالحرف الواحد «كانت ضحية عدوان» •

وحين يولد المقاتل شاعرا ، والشاعر مقاتلا ، يغدو للكلمة الشعرية لدى مثل هذا الشاعر وقع الرصاص ، وطعم الدم • يقول درويش في قصيدته من يوميات جرح فلسطيني» :

«لم نكن قبل حزيران كأفراخ الحمام
ولذا لم يتفتت حبنا بين السلاسل
نحن ، يا اختاه ، من عشرين عام ،
نحن لا نكتب اشعارا ،

ولكنا نقاتل»(٢٠) .

لقد منحنا محمود درويش شعر النهار ، شعرا مضيئا ثوريا ،رجوليا، شجاعا . وكان درويش في ذروة فتوحاته الشعرية حين كان في ذروة التحامه الشعري الثوري بقضية الوطن المحتل ، فانه يتألق تمام التألق حين يتوحد فيه الصدقان : الصدق الفني والصدق الموضوعي ، والخاص والعام توحدا عضويـــا :

«سجل!
انا عربي
ولون الشعر ... فحمي
ولون العين ... بني
ومميزاتي :
على رأسي عقال فوق كوفية
وكفي صلبة كالصخر .
وكفي صلبة كالصخر .
واطيب ما أحب من الطعام
الزيت والزعتـــر
وعنواني :
انا من قرية عزلاء منسية
شوارعها بلا أسماء
وكل رجالها في الحقل والمحجر»(٢١)

وهو يترجم لغة المقاومة والثورة والحرية في فلسطين المحتلة ، اروع الترجمة ، حين يصرخ صراخا شعريا مموسقا ، على طريقة ناظم حكمـــت ومایاکوفسكي ونيرودا واراغون :

(٢٠ و ٢١ و ٢٢ و ٢٣) المجموعة الشعرية الكاملة لمحمود درويش ، دار العودة بيروت .

« سجل
انا عربي
سلبت كروم اجدادي
وارضا كنت افلحها
انا وجميع اولادي
ولم تترك لنا ... ولكل احفادي
سوى هذي الصخور
فهل ستأخذها
حكومتكم ... كما قيلا ؟!
اذن !
سجل ... برأس الصفحة الاولى :
انا لا اكره الناس
ولا اسطو على احد
ولكني ... اذا ما جعت
اكل لحم مغتصبي»[٢٢] .

ان لازمته الشعرية تقول ، عن مطلق حق ومشروعية ؛

«علقوني على جدائل نخله
واشنقوني فلن اطيع المذله»[٢٣]

وتكتب الشاعرة الفلسطينية فدوى طوقان ، من الضفة الغربية المحتلة، مراثي ثورية تنتقل بها الى مكانة لائقة في شعر الثورة والحرية والمقاومة . لقد طرحت هذه الشاعرة الاقنعة الرومانسية ، وطرحت الغلالات العلامية في التصوير والتفسير ، ونحت منحى واقعيا بروح العصر ، مشاركة في الثورة والتغيير .

وقد اكتشفت بتجربتها الخاصة ، وعن قناعة وجدانية وفكرية عميقة ان لاسبيل للخلاص الا بالفداء ، بالمقاومة ، بالكفاح المسلح ، بالثورة . ومع

ذلك ، فان الرثاء باعتباره بعدا من ابعاد فنها الشعري ، وحقلا من الحقول التي تجود فيها،يكتسب سمات جديدة،هي سمات المراثي الثورية فحين يغتال الصهاينة الشهداء : كمال ناصر وكمال عدوان ومحمد يوسف النجار ، وغسان كنفاني في بيروت ، ترثيهم فدوى رثاء جميلا ، لايكتفي بمجرد البكائية ، بل يتجاوزها الى الدرس والعبرة والاستنتاج الثوري الصادق المضمخ بحس النبوءة :

«نسرا نسرا غالهم وحش الظلام
سرق السمو من الاعالي ، آه ياوطني ،
عليك من الدم الغالي سلام
من اجلك انفرطت عقود دمائهم
حبات مرجان ، كنوز لالئى ،
ذهب الذين نحبهم
لاصوت للاحزان ، انظر ، اورقت ،
صمتا على شفتي احزاني
واطبقت الحروف شفاهها
تتساقط الكلمات صرعى مثلهم ،
جثثا مشوهة ، ترى
ماذا اقول لهم ، ومن قلبي
ومن عيني تسيل دماؤهم ؟ »(٢٤)

ويكون الدرس هو القسم بأن نبقى ظامئين حتى نثأر ، حتى نقتص لهم القصاص الثوري العادل :

«انا سنبقى ظامئين

(٢٤ و ٢٥) فصل ــ فدوى طوقان ــ في الشعر الفلسطيني المقاتل . كذلك مجلة ــ الاداب ــ عدد خاص ، كذلك : فدوى طوقان ، المجموعة الشعرية الكاملة دار العودة بيروت .

عند الينابيع الحزينة سوف نبقى
ظامئين
حتى قيامهم مع الفجر الذي
حضنوه رؤيا لاتموت
ولايذوب لها حنين»(٢٥)

ان فدوى طوقان ، على مراوحتها بين مواقع الرومانسية الثورية والواقعية ، تظل متميزة في اناشيدها وقصائدها الثورية ، وتظل اشعارها فلسطينية قومية اصيلة .

والآن ... فقد انضم الى هؤلاء الشعراء (القاسم ودوريش وطوقان وبيسو) شعراء اخرون ، مثل (سالم جبران وتوفيق زياد واحمد دحبور ونواف ابو الهيجا وخالد ابو خالد) . ولشعر بسيسو (خصوصا في ديوانه «فلسطين في القلب») نكهة متميزة ، وخصوصية اليفة . وللشعر الشعبي الفلسطيني ، كذلك ، دوره في شعر الثورة ، والتعبئة الشعرية الثورية .

— ٣ —

ومن الشعر الفلسطيني المقاتل ننتقل الى شعر عربي مقاتل اخر ، وهو: شعر المغرب العربي ، وخصوصا منه شعر الجزائر ، وتونس .

لقد نشأ في اقطار المغرب العربي (تونس وليبيا والجزائر ومراكش — المغرب) أدب كفاحي غني ، سواء باللغة الفصحى ، ام باللغة الشعبية (عربية ، وبربرية ، ومختلطة) . وليس هنا مجال الحديث ، بالتفصيل عن كل ذلك ، فانه يقتضينا اطالة يضيق بها الحيز المعطى لنا . انما سنشير الى مثالين بارزين هما : ابو القاسم الشابي وشعراء تونس المعاصرين من جهة ، والى مالك حداد باعتباره نموذجا لشعراء الجزائر المعاصرين .

يعد ابو القاسم الشابي ممثلا لجيل المرحلة الثالثة في الأدب التونسي الحديث بعد نهضته ، وقد تبلور شعريا في عام ١٩٣٥ . وكان مع الشابي رهط

من الشعراء منهم سعيد ابو بكر ، والطاهر الحداد ، وبيرم التونسي ، ومحمد العريبي • وقد اطرح هؤلاء ظهريا الاساليب القديمة في التعبير ، ونهجوا نهجا جديدا في الشعر ، خرج من اطار الكلاسيكية والكلاسيكية الجديدة الى الاطر الرومانسية (ويتجلى هذا في الشابي ، بخاصة) ، وان كان الحداد يمثل طلائع الاتجاه الواقعي في الشعر التونسي المعاصر •

ويتميز الشابي برومانسيته الثورية ، ويعتبر خير نموذج لها في الشعر العربي المعاصر • واشتهر على وجه التحديد ، بقصيدته الخالدة «ارادة الشعب» التي قال فيها هذين البيتين الذائعين جدا :

«اذا الشعب يوما اراد الحياة
فلابد ان يستجيب القدر
ولابد لليل ان ينجلي
ولابد للقيد ان ينكسر»(٢٦)

وهما بيتان يغنيان ، الان ، مع كامل القصيدة ، في اكثر من اذاعة عربية متحررة • فالقصيدة هذه نداء من نداءات المعركة المعاصرة ، وعلامة شعرية صحية من علاماتها •

وتعاطف الشابي — الذي اغتاله الموت شابا — مع الطبقة العاملة التونسية ، ووقف مع طلائعها في عام ١٩٢٥ • وقد فاضت قريحة الشابي شعرا ثوريا منتصرا للحرية ، ومتمردا لا يهادن :

«كلما قام في البلاد خطيب
موقظ شعبه يريد صلاحه
اخذوا صوته الالهي
بالعسف ، اماتوا صداحه ونواحه

(٢٦ و ٢٧ و ٢٨) ديوان الشابي — بيروت ، تونس — كذلك دراسة لخلفية التليسي حول شعر الشابي . كذلك القومية العربية في الشعر الحديث لاحمد الحوفي القاهرة .

البسوا روحـه قميص اضطهـــــاد
فاتك ، شائـــك يـرد جماحـــه»(٢٧)

الى ان يقول :

«انا ياتونس الجميلـــة في لـــج
الهـــوى قد سبحـــت اي سباحـــة
شرعتـي حبـــك العميـــق وانـي
تذوقـــت مره وقراحـــه
لا أبالـي وان اريقـــت دمائـــي
فدماء العشـاق دومـــا مباحـة »(٢٨)

وقد وقف الشاعر الحداد موقفا اكثر تبلورا من الناحيـــة الفكرية والاجتماعية ، فقد كان مناضلا نقابيا بارزا ، وقد كتب كتابه الشهير «العمال التونسيون وظهور الحركة النقابية» الذي صادرته السلطات الاستعمارية فور صدوره ، كما اصدر كتابه الثاني في اصلاح وضع المرأة التونسية،وذلك تحت عنوان «امرأتنا في الشريعة والمجتمع» ، وكان سباقا فيه رائدا ،بـــز نظراءه في تلك المرحلة ، امثال ، قاسم أمين ، والرصافي ، والزهاوي • وقد اخترمه الموت وعمره (٣٦) عاما •

غير ان شعر الحداد ادنى في المستوى الفني من شعر الشابي ، وان كان اشد واقعية وتحديدا ، فهو يقول ، مثلا :

« ايها الشـعب قـم للمجـــد مقتحمـا
حـرب الحيـاة فـلا عز بـلا تعـــب
هذا زمـان يمـــوت الجاهلـــون به
والخانعـــون بـلا حـد لمغتصـــب
قـم قـد انكرونـا في كرامتنـــا
وجاهرونا بنجوى الامس في الحجب»(٢٩)

(٢٩ و ٣٠) ديوان الطاهر الحداد ــ تونس ــ كذلك مجلة الفكر التونسيه اب ١٩٦١ .

الى ان يقول :

«ياشعب تونس ياشعب المجادة لو
وعيت ماضيك المسطور لم تهب
خلقت للموت في حفظ الكرامة لا
للجبن تلبسه عارا مع الحقب»(٣٠)

ويأتي شاعر شاب معاصر هو الطيب الرياحي ، ليواصل نشيد القتال التونسي العربي الثوري ، وليغنيه ببعد اجتماعي اشد تبلورا :

«... قسما
لو وضعوا في كفي الشمس
وعلى صدري قمر العالم
ما ساومت ...
قسما
لو لقنت حديثهم
الف سنة
وانا ابن العشرين ربيعا
ما ساومت ...
ولو ان الفقراء بلا سبب
رفضوني
ما ساومت ... »(٣١)

اما الشعر الجزائري المعاصر ، فهو افضل حالا ، من ناحية المستوى الفني ، الا انه يعاني من مأساة اللغة ، فخير شعراء الجزائر يجهلون العربية، لغة الاباء والاجداد ، ويكتبون باللغة الفرنسية ، وهم يعانون من ذلك كثيرا، حتى ان مالك حداد ، وهو ابرز الشعراء الجزائريين الحديثين يعتبر ذلك لعنة سوداء ينبغي الفكاك منها .

(٣١) ملف الشعر التونسي الحديث ، مجلة المعرفة ، ١٩٧٣ .

ومع ذلك ، فان مالك حداد قد صاغ نشيد المقاومة والثورة الجزائرية صياغة فنية رائعة • واذا كان علينا ان نترجمه لنفهمه ، فان روحه لا تحتاج ترجمة ، لانها روح عربية طلقة ، روح ثائرة تعي ثورتها وتحدد مسارهـــا الثوري بشكل ناضج • يقول مالك حداد في قصيدته «المسير الطويل» :

«كنت بحاجة الى بستان لازهاري
الى عطر لازهاري
كنت بحاجة الى بستاني
لقد شاهدت عيون رفاقي تقدح بالغضب
شاهدت عيون رفاقي تبللها الدموع
رفاقي ••• ناسجي العلم الوطني الكبير
علم الجزائر
وها هو ذا الان كالريح القويـــة
شامخا واسعا ••• كالتاريخ
انه يجعلنا ننتقم لشعرنا الابيض ونحن في العشرين»(٣٢)

ويواصل مالك حداد ، شاعر الجزائر الكبير ، تصويره الثورة الجزائرية، من خلال تصويره لموقفه منها ، ولماجرياتها ، وجزئياتها ، ومغزاها بالنسبة له ولكل جزائري ، ولكل قافلة الثوار العرب ، والثوار الاحرار في العالـــم • انه يكتب قصيدة خاصة بعنوان «سأسميها» وهو يسميها بكل دقة :

«•• اني ابسم للهررة وهي تضطهد الفئران
••• اني لاعشق تلك الحظة التي تهبني الحياة
سأسمي تلك اللحظة
اصغوا اذن !

(٣٢ و ٣٣) مالك حداد ، ديوانه (الشقاء في خطر) ترجمة سليمان العيسى وملك ابيض العيسى . كذلك الشعر الجزائري الحديث ـ بحث باللغة الروسية ـ مجلة الادب الاجنبي العدد الخامس ١٩٧١ .

سدوا اذانكم جيدا
وافتحوا قلوبكم على مصراعيها
سأسميها ؟ رفاقي الذين ساعانقهم عن قريب
سأسميها ؟ داري حيث تنتظرني أمي بصبر نافذ
سأسميها ؟ رفيقة القيثارات المحطمة
سأسميها : الجزائر ... »(٣٣)

وكرس الشاعر صالح خرفي معظم شعره للتغني بالثورة الجزائرية ، والثورة الفلسطينية ، والثورة العربية عموما . ان تحرير الجزائر هو ، في رأي شاعرنا خرفي ، طريق لا جدال في صحته ، لتحرير فلسطين ، وتحرير الاجزاء السليبة من الوطن العربي كافة ، فالعلاقة جدلية بين تحرير الجزائر وتحرير أي شبر من الوطن العربي :

ـ « فكأني بابن الجزائر وفى
شوطه في غد وانهى المطافا
ثم ولى لمشرق الشمس وجها
فيلبي نداء حيفا ويافا
جيشنا جيشكم فما طار صوت
عربي الا وطرنا بخفافا
جرحنا مثخن ولكن سيغدو
في سبيل الاخاء جرحا معافى
ان نطيق السلام يوما وشبر
عربي نراه يشكو اعتسافا»(٣٤)

ـ «يا اخي في خيام غزة في مهمه
سينا جروحنا تتنادى

(٣٤) وقائع مهرجان الشعر الثاني .

نحـــن قربـــان مدلج ينشـــــــــد
الفجـــر فكنـــا له منـــــارا وزادا
رعشة الضـــوء في سراجـــــك ياصا
ح انارت لـــه الربـــى والوهـــــادا
ومـــن الانـــة الجريحـــة وافـــت
مـــن النصر نغمـــــة تتهـــــادى
اننا نـــزرع الورود على الـــــــدرب
ونجنـــــــي مـــن الـــــورود القتادا
مرحبا بالقتـــاد يدمـــي خطـــا حـــــر
اذا الخطـــب نال منـــه اســـتزادا»(٣٥)

ونجد ذات الشيء عند الشاعر مفدى زكريا :

«عهـــد العروبة ركـــن من عقيدتنـــــا
وللعروبـــــة في اصـــلابنا رحـــــم
وفي الجزائـــــر اكبـــاد تفـــور دمـــا
فـــداء يعـــرب يجـــري ســـيلها العرم
مدوا لهـــا يد صـــدق غـــير واهيـــة
تثأر ليعـــرب فيها الســـاح والقمم»(٣٦)

— ٤ —

ونعود الى شعر المشرق العربي القتاليفنقف عندشعر الكفاح والثورة والمقاومة السوري المعاصر .

ونسارع فنقول ان هذا الشعر يزهو بكوكبة من الشعراء المبـــدعين الذين كرسوا انفسهم ، كلية ، لشعر المعركة ، ومن هؤلاء : سليمان العيسى، وشوقي بغدادي ، ونديم محمد ، وخليل الخوري ، وعبدالباسط الصوفي ،

(٣٥) وقائع مهرجان الشعر السادس ، ببغداد .
(٣٦) مفدى زكريا ، ديوانه اللهب المقدس ص ٣٠٣ .

واحمد سليمان الاحمد ، وممدوح عدوان ، وعلي الجندي ، واحمد داود •

ان سليمان العيسى هو شاعر اللواء ، لواء الاسكندرونة ، وهو مقاتل بعثي عريق ، نذر قلمه وكل طاقاته للمعركة ، وقد مر عليه زهاء ربع قرن وهو يكافح وينافح بالكلمة الشعرية المقاتلة وسواها من فنون القول •

يقول سليمان العيسى في قصيدة له بعنوان «ذكرى اللواء» ،ألقاها في مهرجان اللواء السليب بحلب ، يقول بلسان شاعر الكفاح والمقاومة والثورة الصامد حتى تكتحل العيون ببريق النصر :

«عشرون ياوطني الصغير ، احسها ضربات قلبي
درب العروبة والكفاح ، وزقزقات الفجر دربي
لم انس يا بلدي ،ففيك على الرصاص فتحت هدبي
اطفالك الثوار هم شعري ، كما كانوا وحبي
حملوا العقيدة والسلاح ، بكف دون العشر زغب
الهادرون عى طريق البعث ، اترابي وصحبي
لو شئت ناديت الصقور ، فدمدم الاعصار قربي
العائدون غدا ••• وهبي ياارياح البغي ، هبي !»(٣٧)

وهو يلحم ملحمة الاسكندرونة بملحمة يافا ، فالجرح واحـــد ، والسبيل الى خلاصهما واحد :

«الصامدون ، وليس اروع من صمودك يا بلادي
الثائرون على الهوان ، الباسمون على الشداد
جيل تعطش للحياة ، فهزها بيد الجهاد
وتفجر الينبوع ، فانتشت الحواضر والبوادي
في النصر ، في عرس العروبة ، ينطوي ايل الحداد
بلدي ، ستعذب في الضفاف غدا حكايات المعاد
يافا ، لنا في الشط موعدنا ، ولو جن الاعادي

(٣٧ و ٣٨ و ٣٩) المجموعة الشعرية الكاملـــة لسليمان العيسى ، دار العودة بيروت .

في العيد ، عيد الوحدة الكبرى ، اضمك يابلادي»(٣٨)

ويؤمن العيسى بالوحدة العربية طريقا لنصر الثورة العربية :

«يا رمال الحجاز مدي جناحيك لهيبا وصيحة سمراء
اشعلي الشام واسطعي فو
ق بغداد شموسا من صنعنا زهراء
ودعي النيل يسق من لهب النو
رة عمرا وخيله الشقراء
وتلقى في مغرب الملك صقرا
عربيا وصارما ولواء
واهدري يارمال : امنت بالوحدة دربا معبدا اشلاء
اين راياتنا تفيق على الثأ
ر وتروي سلاح الجهاد اباء؟
ان تاريخنا افاق فقل لليل يطفىء اذا استطاع الضياء»(٣٩)

اما اناشيد شوقي بغدادي فهي تكمل اناشيد العيسى في البعث والوحدة والثورة ، وتغني بشمولية متلاحمة بالقومية ، وبالبعد الاجتماعي الطبقي • فعند هذا الشاعر المقاتل لايكون جلاء حقيقي الابجلاء كل الظالمين من اقطاعيين وبرجوازيين وكومبرادور ، وليس جلاء الفرنسيين فقط :

«ارى ذلك اليوم لابد ات
تجلجل من مره الاعصر
أراه والمح خلف الجفاف
يلوح لي غصن اخضر
ودنيا تضم وتعشق حتى
[illegible] امأة تأسر
بلى ... نحن في العيد ...
لابصر عيدا هو الاكبر

واؤمن ان الجلاء قريب
وان وانظروه ... وان انهروا
اذا ما جلا الظالمون جميعا
فعيدي هو العيد ... فليحذروا»(٤٠)

حتى اذا جئنا الشاعر خليل الخوري وجدناه يهب «صلواته للريح» وهي ريح الثورة ، بكل تأكيد، ويسوط الزيف بسياط الثورة ، فيبعث برسائله الى ابي الطيب المتنبي ، في ديوان كامل ، ينتصر فيهاللثورة وللكلمة المقاتلة ، والشعراء الثوار ، ولعل هذه الرسائل هي بعض اصداء «رؤياه المكبلة» وهي قصيدة متلاحمة الابعاد ، تستشف الغيب ، نشرتها له مجلة «الاداب» في ١٩٦١ .

على ان الخوري يجد في التأميم العظيم بارق النصر ، والحل النموذج لاحدى اشرس معاركنا الاقتصادية ، الاجتماعية ، السياسية مع الامبريالية، وكأنه ينطلق في ذلك من رؤياه التي كان ينتظر فيها المعجزة ، فاذا بالمعجزة امامه تنتظره في قطر شقيق لقطره ، في بغداد — تموز العارق . ان انجاز التأميم يجعل الخوري يرى في بشرى التأميم ايذانا بالنصر العربي الكبير ، الذي بدأه عراق الثورة ، عام ١٩٧٢ :

«... يمتد صوتك ، يغدو لصوتك زندان
يحتضنان اليتامى ، العراة ،
الجياع ، الحفاة ،
وأصغيت : كان الفرات
يصب بوهران ، والنيل يروي السماوه
يعتنق الشط بالشط
يصبح صوتك خارطة للتجاوز ،
خارطة للقاء على نغمة الغضب العربي

(٤٠) شوقي بغدادي : المجموعة الشعرية الكاملة ، دار العودة بيروت .

فجأة :
أنا ابصرت من عبروا فوق اهدابنا ،
ومضوا في دروب الشهادة يستيقظون ،
يرجون صخور قبورهم ، ينهضون
وفجأة :
انا ابصرتهـــم يومئون اليك ويبتسمون
كان صوتك اقواس نصر ،
وكان العراق
وملاينيه واحبته تحتها يعبرون
وثلاثون جيلا
على وقع صوتك
من صوتهم يبعثون»(٤١)

اما عبد الباسط الصوفي فيتغنى بالثورة العربية المعاصرة عبر تغنيـــه الشعري الفنان بالثورة الجزائرية ، وملحمة جميلة بوحريد ، فيقـــــول في قصيدة له بعنوان «الحقد والفولاذ» :

«تأوه الفولاذ ؟ ياجوعه
ياعريه ، يافقره ، من غروره
أختي على «الاوراس» بين الصخور
تزرع قلـــب المـــوت نارا ونور
أختي يدان انهدتا ؟ فانفرط
ياقيد ، واقلع ياجناح النسور
يد على الجرح ، واخرى
على زنارها ؟ أختي حطام يثور

(٤١) لغة النار الازلية ، اعداد ماجد صالح السامرائي منشـــورات وزارة الاعلام ، بغداد .

في معصمي القيد ، وفي جبهتي
ما يضفر النصر ، من الورد
واخوتي ، صرخاتهم حركت
ما في ضمير الشعب من وقد
ليشحذوا الفولاذ ؟ ان يطفئوا
توهج الحياة في صوتي
جزائرية ، وفي قبضتي
تمرد البعث على الموت ..»(٤٢)

اما في لبنان فقد نهض عديد من الشعراء بمهمة تصوير الواقع القومي؛ وترجمة المطامح القومية الثورية شعرا لاهبا ، يتساوى في ذلك الشعـــراء المقيمون في لبنان ، والشعراء المهاجرون (شعراء المهجر) ، (وينطبق ذلك على شعراء سوريا المهاجرين ، ايضا) • وقد اشتهر ابراهيم اليازجي بخاصة ، ببائيته المشهورة (التي نظمها عام ١٨٩٦) ، ودعا فيها العرب للانتفاض على الاستبداد العثماني الغاشم :

«تنبهو واستفيقـوا ايهـــا العـــرب
فقد طمى الخطـب حتى عاصف الركـب
فيم التعلل والامـــال تخدعكـــم
وانتم بين راحـــات القنا ســـلب ؟
كم تظلمـــون ولستم تشتكون وكم
تستغضبون فلا يبدو لكـــم غضـــب
فشمروا وانهضـوا للامـر وابتـــدروا
من دهركـم فرصـة ضنت بهـا الحقب
لاتبتغوا بالمنـى فـــوزا لانفســـكم
لايصـدق الفـوز مالم يصـدق الطلـب

(٤٢) مجلة الاداب البيروتية ، يناير (كانون الثاني) ١٩٦٠ .

خلوا التعصب عنكم واستووا عصبا
على الوئام لدفع الظلم تعتصب
هذا الذي قد رمى بالضعف قوتكم
وغادر الشمل منكم وهو منشعب
وسلط الجور في اقطاركم فغدت
وارضها دون اقطار الملا خرب
وحكم العلج فيكم مع مهانته
يقتادكم لهواه حيث ينقلب
بالله ياقومنا هبو لشأنكم
فكم تناديكم الاشعار والخطب
ألستم من سطوا في الارض واقتحموا
شرقا وغربا وعزوا اينما ذهبوا
ومن اذلوا الملوك الصيد فارتفعت
وزازل الارض مما تحتها الرهب
ومن بنوا لصروح العز اعمدة
تهوي الصواعق عنها وهي تنقلب»(٤٣)

ـ ٥ ـ

وقد عرف ادب الثورة والكفاح والمقاومة في مصر ، في القرنين التاسع عشر والعشرين شخصيات فذة مثل عمر مكرم ، وعبدالله النديم ، واحمد شوقي ، وحافظ ابراهيم ، واحمد زكي ابو شادي ، وتمتد القائمة حتى ايامنا هذه فتشمل كمال عبدالحليم ، وحجازي ، وعبدالصبور ، والشرقاوي ، والخميسي ، واحمد فؤاد نجم ، وكيلاني سند ، وفاروق شوشة ، وحسن فتح الباب ، ومحمد عفيفي مطر ، وأمل دنقل ، وبدر توفيق ، ومحمد عبدالمنعم ابو سيف وغيرهم .

(٤٣) د. احمد الحوفي القومية العربية في الشعر الحديث ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، مطبعة دار العالم العربي ، بلا تاريخ ، ص ٢٣٢ .

وقد عرفت الكلاسيكية الجديدة ، بالذات ، ممثله في احمد شوقي ، لغة الكفاح ، كما عرف شوقي نفسه ، ايضا ، ضريبة الحرية نفيا وابعادا . ان شوقي كان يعرف ذلك بمواضعات ايامذاك ، وبمصطلحات عصره ، وفي حدود فهمه . وهكذا نجد شوقي يقول :

« سلام من صبا بردى ارق
ودمع لايكفكف يادمشق
و مصر فرة اليراعة والقوافي
جلال الرزء عن وصف يدق

صلاح الدين تاجك لم يجمل
ولم يؤسم بأزين منه فرق
وكل حضارة في الارض طالت
لها من سرحك الظوي عرق

دم الثوار تعرفه فرنسا
وتعلم انه نور وحق
وحررت الشعوب على قناها
فكيف على قناها تسترق ؟

بني سورية اطرحوا الاماني
والقوا عنكم الاحلام القوا
فمن خدع السياسة ان تغروا
بالقاب الامارة وهي رق

وقفتم بين موت او حياة
فان رمتم نعيم الدهر فاشقوا
وللاوطان في دم كل حر
يد سلفت ودين مستحق

ولا يبنـــــي الممالـــك كالضحايـــا
ولا يـدنيّ الحقـــوق ولا يحـــق
ففي القتلـــى لاجيـــال حيـــاة
وفي الاسرى فـــدى لهـــم وعتـــق
وللحريـــــة الحمـــراء بـــاب
بكـل يـد مضرجـــة يـدق »(٤٤)

وبالطبع ، فان ثورة شوقي هذه كانت اقرب ، فيّ روحها وجوهرهـا الايديولوجي ، الى روح الثورة الفرنسية ، والمفهوم البرجوازي اللبرالـي للحريـــة .

ويأتي كمال عبدالحليم ليواصل افضل تقاليد الشعر الثوري الكفاحي فيّ مصر مقتربا جدا من اطر الواقعية الاشتراكية . وهو شاعر مقاتل كـان لقصائده فيّ الخمسينات تأثير عميق على معاصريه ، ومن دواوينه «اصرار ، وثلاثة اطفال وقصائد اخرى» .

وجاء عبدالرحمن الخميسي مطورا قصيدة كمال عبدالحليم نحو الاعمق والاشمل والاثرى فنيا ا فصدر له ديوانه «اني ارفض» ؛ الذي كان مجموعة قصائد مقاتلة ، لكل قصيدة منها وقع الرصاصة . ويقول الدكتـور لويس عوض فيّ الخميسي ، انه اختار طريق تحرر الجماعة عن طريق الاشتراكية الواضحة ، واختار طريق وحدة المثقفين والعمال ، ورفض ادب الهرب ، وامن بالادب والفن في سبيل الماعة ، وفيّ سبيل الحياة والاحياء(٤٥) .

ان رفض الخميسي هو الخطوة الاولى التي يخطوها ، عن وعي ، في القتال والمقاومة ضد قوى الظلم والشر والاستغلال والظلام . ان مدلـول

(٤٤) القيت هذه القصيدة في مؤتمر شعبي عقد في القاهـــرة عام ١٩٢٦ استنكارا لعدوان فرنسا ووحشيتها ــ يراجع المصدر السابق ص ١٧١ . كذلـك الشوقيات ٢/٨٨ .

(٤٥) د. لويس عوض ، الادب والاشتراكيـة . كذلـــك لويس عوض قضايا عربية وغربية ، القاهرة . كذلك الاهرام ٧ــ٣ــ١٩٦٦ .

ويتوسل شعراء الكفاح في مصر ، احيانا ، بالتاريخ ، والاساطير والرموز .

وما من شك ان التاريخ العربي ، الاسلامي حافل برموز القتال والثورة والمقاومة . فها هو فاروق شوشة ، مثلا يقول في قصيدة له عنوانها «اصوات من تاريخ قديم» ، مخاطبا سيف الدولة ، وكأنه يتمثل كفاحا مسلحا يخوضه شعب مصر العربية ، هذه الايام ، ضد العدو الصهيوني (وبالفعل فقد برهن الجندي العربي ، في تشرين ١٩٧٣ ، انه من جند سيف الدولة المقاتلين بروح العصر وسلاحه ورؤياه) يقول شوشه :

«... ادخل حلب الشهباء ، طعنا او منصورا
ادخل في ركبك ، ياسيف الدولة ، خلف غبار الفتح
واغفوا ...
اصحو في ركب صلاح الدين
تثقلني باقات النصر ، وتحملني اعناق المنصورين
تدفعني موسيقى ، لم تعزفها ارض بلادي .. منذ سنين
وانادي
من قاع الحزن انادي

وعنوانها في وجه العاصفة ، ص ٨٧ :

كم تقدمتك يا عصف الرياح
وعلى جسمي علامات الجراح
كم توسدت اعاصير الاسى
وتلفعت بطعنات الرماح
كم شربت الظمأ الكاوي لظى
وطعمت الجوع مكتوف السراح
غير اني لم ادنس هامتي
بانحناء المستذل المستباح
لم ابع مسغبتي او ظمئي
في الكواليس لتجار الكفاح !

فأنا ياسيف الدولة دمع في عين بلادي
ياسيفَ الدولة :
كل سيوف العرب تصلصل في الاغماد
تهسهس في صدأ الاقفال ...
يا سيف الدولة :
كل خيول العرب تحمحم فيّ الاوتاد ،
وتصهل في نوبات التذكار
تحمل تاريخا مذعورا ...
فلعل الفارس يصحو ، ينهض من كبوته ،
يمسح صدأ الحزن
ويغسل عار الاثلاثعار ! »(٤٨)

اما صلاح عبدالصبور ، وكيلاني سند ، وحسن فتح الباب ، ومحمد عفيفي مطر ، وأمل دنقل ، وبدر توفيق ، ومحمد عبدالمنعم ابو سيف فهم يسلكون ، احيانا ، سبيل المباشرة ، وقد يقعون في النثرية ، ولكنهم يظلون بابا واسعا ،ومعلما ، لايمكن تجاهله ، لمعالم لغة القتال الشعرية ، في مصر ، في الخمسينات بخاصة .

فحين ارتفع علم مصر فوق مبنى البحرية في بور سعيد ، في يونيو (حزيران) ١٩٥٦ ، فاضت قريحة الصبور بمثل هذا الشعر ، مخاطبا علم الحرية الشامخ في ثرى مصر ، مسترخصا الفداء في سبيل الحرية :

«لتحترق على المدى جسومنا
لكي تنير انت
تغوص فيّ جوف الثرى عظامنا
لتستطيل في قلب السما ساريتك
وترتفع

(٤٨) تراجع ، مجلة الاداب ، مايس / مايو ١٩٧١ .

وما تزال ترتفع
يا اشرف الاشياء»(٤٩)

كما ان معركة بور سعيد بالذات قد الهمت الصبور معطيات جديـدة في ديوان الكفاح ، وان كانت لغة الصبور لاتزال انذاك مباشرة :

« سأقتلك
من قبل ان تقتلني سأقتلك
من قبل ان تغوص فيّ دمي
اغوص فيّ دمك
وليس بيننا سوى السلاح
وليحكم السلاح بيننا»(٥٠)

ومثل هذا نجده لدى كيلاني سند ، حيث نسمعه يقول :

«حينما صوتي دوى من بعيد سأناضل
سأناضل
ردد الصرخة خلفي عامل في اثر عامل
سنناضل ، سنناضل .

لن نفاصل
حقنا الواضح فيه ، لن نفاصل
سنقاتل ، سنقاتل»(٥١)

ويهب احمد المعطي حجازي العديد من قصائده لمعركـة الحريـة العربية ، فيكتب قصيدة طويلة بعنوان «اوراس» يتغنى فيها بملحمة الكفاح

(٤٩ و ٥٠) صلاح عبدالصبور ديوانه الناس في بلادي. كذلك الشعرالعربي الحديث وروح العصر ، جليل كمال الدين ، دار العلم للملايين ، الطبعـة الاولى ، ١٩٦٤ ، الفصل السادس صلاح عبدالصبور ، ص ٤٤٣ فصاعدا .

(٥١) كيلاني سند ، ديوانه ــ قصائد في القنال ــ قصيدته الملايين معنا ، ص ٢٧ .

الجزائرية ، بل انه يهيم حتى بالكلمة المقاتلة ، ويطرح نفسه عاشقا مدنفا للحرية ، واناشيد الحرية والثورة ، فيقول ، مثلا ، في قصيدة له عنوانها «المجد للكلمة» متحدثا فيها عن كلمة «حرية» بالذات :

« الكلمة طير
عصفور حر
يطلقه الشاعر من لبنان
فيطير ، يطير الى وهران
لا يوقفه سور ، لا يمنعه جسر !
والكلمة سحر
اربعة حروف صادقة النبرة
حاء ، راء ، ياء ، هاء
تشعل ثورة ! »(٥٢)

وتثير معركة شدوان ، وهي جزيرة في البحر الاحمر ، قاتل فيها الجنود المصريون ببسالة ، تثير فيه تأملات ثورية عميقة ترجمها في قصيدة طويلة رائعة ، عنوانها «البحر والبركان» ، ظل الشاعر يكرر فيها ان البندقية في شدوان هي الوطن ، ويقول فيها ، في الختام ، مخاطبا جند مصر :

« الموت ؟
كنه انت !
فهو فتى بسنك يرتدي ذات الثياب
اخرج له موتا لموت ،
من من الموتين يغلب ؟ من يذود عن التراب ؟
واذكر هنا موتاك ، واذكر وجه امك ،
هل ترى احببتهم يوما ، كما احببتهم في ساعة الموت الوبيل

(٥٢ و ٥٣) احمد عبد المعطي حجازي ، المجموعة الشعرية الكاملة ، دار العودة ، بيروت .

الموت فوق رؤوسنا ، والموت بين أكفنا ،
والموت يعصف بالرقاب ،
ونظل نحن نصيح في فرح جنوني به
لا ، لاسبيل الى الجزيرة
والموت يسحب ظله عنا ، وينكشف الغبار عن الصباح

كان الطريق اليك ، يا اماه ، ان اتيك مطاول الجراح
كان الطريق اليك ان اتيك حاملا السلاح
كان الطريق اليك ان اغزو لك المدن الكبيرة
واضمها لك ، للجزيرة ! »(٥٢)

وبالطبع ، فان «شدوان» هذه ليست مجرد جزيرة ، بل هي واقع ورمز ، ايضا ، للنضال الثوري القومي في مصر ، ووادي النيل عموما • وقد استخدم الشعراء المصريون (وغير المصريين ، احيانا) هذا الرمز ووظفوه في شعرهم ، بتوفيق كبير •

ولا يقتصر الامر ، بالنسبة للشعر الثوري في مصر ، على القريض ، بل ان الشعر الشعبي قد اسهم بدوره ، اسهاما كبيرا ، في بلورة المطامح الشعبية القومية ، وترجمة هموم والام الشعب في مصر • حسبنا في ذلك الاشارة الى (بيرم التونسي) ، والى ظاهرة (احمد فؤاد نجم) ودواوينه العديدة (التي منها اصحي يامصر ، وبيان هام) وما لاقته من ذيوع وانتشار في مصر وعموم الوطن العربي لنجاحها في مهمتها في التعبئة الروحية والنفسية ، والفكرية ضد نظام السادات الرجعي العميل •

— ٦ —

ان روح التمرد ، والثورة ، والصراع والمقاومة لدى الشعب السوداني عنيفة ، عارمة ، وهي تنعكس ، بكل مشروعية وتبرر ، في ادب الثورة والمقاومة في الشعر السوداني المعاصر •

- فان الشعراء السودانيين ، سواء منهم الرومانسيين الثوريين ، على طريقة الشابي التونسي ، ام الواقعيين ، قد استلهموا روح التمرد والمقاومة في الشعب السوداني ، وعبأوا الجماهير لمقاتلة المستعمر واذنابه والطغـاة والظالمين من كل نوع ، موحدين صوتهم مع صوت اشقائهم ، شعراء مصر العربية ، ومع صوت كل شعراء العرب الثوار ، الاحرار ، باعتبار ان الثورة في السودان جزء لا يتجزأ من الثورة العربية الوطنية الديمقراطية ، والانطلاقة العربية القومية التقدمية ضد الامبريالية ، والصهيونيـة ، والرجعيـة .

كان حمزة الملك طنبل ، احد رواد الادب الرومانسي في السودان ، وكان صوتا للتمرد والمقاومة على نطاقيها الاجتماعي والسياسي ، ولكن تمرده كان رومانسيا ، وهو الاخر ، وثورته بالتالي كانت غائمة مبهمة ، تتحدد بالعموميات ، دون انتتجاوزها ، ويقع الوزر في ذلك على رؤياه الرومانسية السلبية ، التي استلهمها :

« سئمت نفسي الحيـاة وملـت
وكـذا الحـر في زمانـي يسـام
لا ارى أينمـا أقلـب وجهـي
غير قيـد من النفـاق تحكـم
ووجـوه سـحقا لهـا من وجـوه
ورؤوس احـرى بهـا ان تهشـم
واناس ما بيـن غـر جهـول
وسفيـه على الكـرام تهجـم

(٥٤و٥٥و٥٦و٥٧و٥٨و٥٩و٦٠و٦١) احمد ابو سعد ، الشعر والشعراء في السودان دار المعارف بيروت ، ١٩٥٩ كذلك ، الرومنيطقية في الادب العربي الحديث لعيسى بلاطه . كذلك ديوان ، الجواد والسيف المكسورة ، لجيلي عبدالرحمن .

وحفاة من الـــورى وجيـــــاع
ليس في الناس من يـرق ويرحـم»(٥٤)

الى ان يقول ، في شبه عماية ، جرتها عليه سوداويته الرومانســـية المنكفئة به في عتمات اليأس وظلماته :

« طال تمثيلنا الشقاء على الارض فحتى متى الرواية تختم
ومتى تسدل الستارة والارض بمن فوق سطحها تتحطم؟»(٥٥)

غير ان محي الدين صابر ، وهو رومانسي اخر ، يجلو الظلمات عـن محراب طنبل الشعري ، ويقترب برؤياه الثورية في الحريـــة الى مدارج الصحة ، ويضع اصابعه على الطريق الهادي ، متفوقا ، في ذلك ، على حسن عزت ، والتجاني يوسف بشير ، وغيرهما من معاصريه الرومانسيين ، فيقول مثـــلا :

«يها الضاربون في وحشة الليل امانا فللصباح رجوع
ايها الراكبون في وقدة البيد احتمالا قدامكم ينبـوع
ايها الراجفون في غضبة البحر سلاما فللرياح هجوع
ايها الصاعدون قد دنت القمة بشرى غدا يجيء الجميع
انه البعث راجفا ينفض القيد حياة يمتد فيها الربيع»(٥٦)

وابتدأ الاتجاه الواقعي في الشعر السوداني المعاصر يتبلور على يـد جعفر حامد البشير . فقد كان هذا الشاعر مؤمنا بالجماهير ودورها في الكفاح والمقاومة ، كما كان مؤمنا بأحقية وعدالة قضيتها :

«ذكروهـــا : ان في اوطانهـــــا
غاصبا قـــد كـاد ان يصرعهـــــا
حذروهـــا ان تكـــن نائمـــــة
ان هـــــذا النـــوم لـــن ينفعهـــا
سائلوهـــا من تـــرى أظمأهـــــا
ومن اللص الـــذي جوعهـــــا ؟

انه من لـو اذا شـــاء لهـــا
لسقاهـــا وكـــذا اشـــبعها
ان كـف البغـــي لا تتركنـــا
واذن لابـــد ان نقطعهـــا»(٥٧)

ويأتي الشاعر (الدكتور) تاج السر الحسن ليتمم مقولات البشـــير ويطورها برؤيته الواقعية العلمية ، فيتحدث عن الاشتراكية ، ويتغنى بأخوة وتضامن القارات الثلاث • وهو يؤمن ان الدماء سبيل النصر ، وان الثورة لن تنتصر بدون مشاركة الجماهير ، فهو يقول في قصيدة له بعنوان «ثورة»، يصور ثورة الشعب في السودان ، وهي الثورة التي تحققت في مســـار العملية الثورية المتصلة رغم الانحرافات ، والانتكاسات ، وفداحـــة التضحيات :

«••• وهزيم الجموع يملأ سمع النيل سمع الضفاف سمع الوادي
والدوي العظيم كالبعـــث يحدو كتـل الثائرين عبر الوهـــاد
من وراء السهول من خلل الادغـــال من لا نهايـــة الابعـــاد
كتل تحمـل الســـلاح لـواء مشهرا تستعيـد حـق بـلادي
كتل تحمل السلاح لسحق الظلم سحق الطغيان سحق الاعادي»(٥٨)

الى ان يقول :

«وكأني والشعب في ثورة النصر دمـاء تسقي الربى المقهـــورة
وكأن الدمـاء تكتـب للتاريـــخ حريـة القوى المأســورة»(٥٩)

اما الشاعر جيلي عبدالرحمن ، فهو يقف في جانب الشاعر تاج السر الحسن ، من حيث التوجه ، والخصوبة ، متمكنا كل التمكن من عدته الفنية • وهو يتجنب القعقعة ، والجعجعة النيوكلاسية ، والرومانسية ، ويتحـــدث حديثا يوميا ، بسيطا ، ومقنعا ، داعيا الى الكفاح ، ومواصلة المقاومـــة • فنسمع منه ، مثلا ، في قصيدته «اشواق الكفاح» :

«وياطالما حدثنا هناك

عن الطالبات ، وذكرى عرابي
حديثا كذوب الندى في الروابي
تضيء السذاجة فيه الكلام
يخط النضال على جبهته
شواظا من النار في غضبته
واحكي لها عن صلاح
تحدى مع الثائرين الملك
وجيش الغزاة الدخيل
فمات !
ولكنه لم يزل اغنية
ترددها كاللظى أمسية»(٦٠)

وثمة شاعران اخران : هما ، محي الدين فارس ، ومحمد الفيتوري وكلاهما واقعي ، مقاتل بالكلمة الشعرية .

يشبه محي الدين فارس افريقيا بفتاة تستيقظ من سباتها ، وهو يدعوها للمزيد من مقاومة الامبريالية ، والمزيد من الانتصارات الثورية :

« افريقيا ما عادت طفله
شبت ... وتثاءب نهداها
لن يحجبها ليل الغابة
وستخرج للعالم قلبا ... يتدفق نورا ورغاده
وتحوط ذراعاها الازهار وستفرش بالحب مهاده
وستعرف من داس جباها
من سور عالمها بالليل وراح يطاسم دنياها
من سار على جثث الموتى ، من سار على الارض الها»(٦١)

اما محمد الفيتوري فكان يعاني من انغلاق افريقي ، وضمور في الحس القومي العربي ، وان بدأ يتخلص من ذلك في اشعاره الاخيرة . انه

يقول في زحوف الثوار من ابناء الشعب :

الملايين أفاقـــت مـن كراهـــا
ما تراهـا مـلأ الافـق صـــداها
خرجـــت تبحـــث عـن تاريخهـا
بعد ان تاهـــت على الارض وتاهـــا
حملـت افؤســـها وانحـــدرت
من روابيهـا واغـــوار قراهـــا
فانظـــر الاصرار في اعينهـــا
وصباح البعث يجتاح الجباهـــا»(٦٢)

وهو يعي ان قضية الثورة والحرية خالدة لن تنتهي بنهاية احد ممثليها:

« لماذا يظن الطغاة الصغار
ان موت المناضل
موت القضية »(٦٣)

وعموما ، فان الفيتوري ، ومحي الدين فارس ، وتاج السر حسن ، وجيلي عبدالرحمن ، وغيرهم من شعراء السـودان الثوريين المعاصرين ، كانوا يلتحمون ، احيانا ، بشعراء مصر في التغني بمطامح وهموم وادي النيل (كما كان يدعى) ، وكانوا يفضلون ، في احيان عديدة ، ان يتكلمـوا باسم النيل ، او حتى باسم مصر ، على اعتبار ان حرية السودان من حرية مصر (خصوصا حين كان النظام الحاكم في مصر يشارك الانكليز ، ولو اسميا ورمزيا ، في السيطرة على السودان ، وادارتها) ، اما الان فقد تبلـورت المطامح الشعبية السودانية ، دون ان تقلل من اهمية المطامح الوحدوية مع مصر ، او المطامح الوحدوية العربية عموما ، وانعكس ذلك ، بكاملـه ، في شعر الشعراء ، وفي الابداع الادبي السوداني الثوري المعاصر ، عامة .

(٦٢ و ٦٣) محمد الفيتوري المجموعه الشعرية الكاملة ، دار العـودة ، بيروت .

— ٧ —

حسنا ... فما هو رصيد الشعر العراقي المعاصر في اغاني واناشيد الثورة والمقاومة والحرية ؟ ومن هم ابرز شعراء الثورة والكفاح والحرية في العـراق ؟

انه لرصيد ثر دفيق بالمعطيات الضخام ، والانجازات التي تغتنـي وتغني ابدا بالجديد المطرد . هنا نجد شـعراء الكلاسيكيـة الجديـدة ، والرومانسية الثورية ، والواقعية ، وهنا نجد شعراء الروي العمود والروي الحر ، وهنا نجد جيشا لجبا من الشعراء المقاتلين ، الذين ناضل بعضهـم بالكلمة ، وبالبندقية ، وبسائر الوان النضال ، ودفـع ضريبة الحرية من دمه، وحياته ، وشبابه ، وصحته ، فدخل السجون والمنافي ، وتشرد واغترب ، وجاع وبات على الطوى ، ولكنه لم يساوم ، وظل يقاوم حتى انتصـار الثورة في ١٤ تموز ١٩٥٨ ، وانتصارها الاتم والاكمل في ١٧ـ٣٠ تمـوز ١٩٦٨ . ومن هؤلاء الشعراء : الجواهري ، والبياتي ، والسياب ، ومحمود البريكان ، وبلند الحيدري ، وعبدالرزاق عبدالواحد ، وكاظم جواد ، ومحمد جميل شلش ، وعلي الحلي ، وسعدي يوسف ، ومحمد صالح بحر العلوم وهلال ناجي وكاظم السماوي ، وشاذل طاقة ، وخالد الشواف . وقد مهد لهؤلاء شعراء يمكن ان ندعوهم شعراء ثورة العشرين وما قبلها وشعراء معارك العشرينات والثلاثينات الوطنية والقومية . ومن هؤلاء ، على تفاوت في الاصالة ، واختلاف في الاتجاه السياسي واسلوب النضال ، الكاظمي ، والزهاوي ، والرصافي ، ومحمد رضا الشبيبي ، ومحمـد باقر الشبيبي ، وحسين كمال الدين ، وعلي الشرقي ، وخيري الهنداوي ، ومحمد مهـدي البصير ، واحمد الصافي النجفي .

وثمة جيل معاصر من الشعراء تغنى بالثورة وسار في معاركهـا ، وضحى لها ، وعاشها ، كل وفق مفهومه ووجهة نظره ، ومنهم محمد سعيد الصكار ومحمد حسين ال ياسين وعبدالجبار البصري ، ورشيد ياسين ،

وموسى النقدي ، ومحمد النقدي ، وراضي مهدي السعيد ، وعبدالمجيد الراضي ، ورشدي العامل ، وماجد العامل ، وحميد سعيد ، وسامي مهدي ، وحسن البياتي ، وحسب الشيخ جعفر ، واحمد عبدالكريم ، وصلاح نيازي ، وسلمان الجبوري ، ويوسف الصايغ ، ويوسف نمر ذياب ، وعبد الرزاق حسين ، وارشد توفيق ،وعبدالامير معله ، وعبدالاله الصائغ ، وكامل الشرقي ، ومنذر الجبوري ، وحسين جليل ، وكاظم التميمي ، ومحمد راضي جعفر ، ولميعة عباس عمارة ، وامال الزهاوي ، والفريد سمعان ، وعيسى حسن الياسري ، وعبدالكريم راضي جعفر ، ومعد الجبوري وغيرهم .

كان عبدالمحسن الكاظمي (١٨٦٥ــ١٩٣٥) ، الشاعر العراقي المهجر الى مصر ، بليغ الحس الوطني، متمردا بطريقته الخاصة ، ثائرا عاش في تشريد دائم حتى وفاته في مصر . وقد كرس الوطن ، والطموحات الوحدوية العربية ، في عموم شعره ، ومجد الحرية وكفاحها :

« لست ابكي على انقضاء حياة
ليس فيها لموطن تخليد
وطني ! أنت كل ما اتمنى
من حياة وابتغي واريد
او يرضى الاحرار والعزم ماض
ان يساموا كما تسام العبيد
لا يبيع الاوطان الا ذليل
او خؤون عزت عليه النقود»(٦٤)

وكان عبدالغني جميل (الذي توفي عام ١٨٦٣) ، من الشخصيات الثورية الواضحة في القرن التاسع عشر ، فقد كان مفتيا في بغداد ولكنه ابى الظلم والاضطهاد ، فنفي وشرد واحرقت داره ومكتبته الثمينة ولم

(٦٤) ديوان الكاظمي اعداد رباب الكاظمي ، منشورات وزارة الاعلام بغداد .

يرضخ للمغريـــات التي قدمهـــا له الوالي علي رضا ليسير في ركاب الدولة ، وبقي يدافع عن حقوق الجماهير بأشعاره وضرب مثلا رائعا بين الشعراء ، وكان له ، بحدود ثقافة عصره ، موقف شخصي فيه الوضـــوح والاصرار والثبات :

فصبرا فان الليالـــي تحـــــول
ويرجـــع للغيـــب من قـــد ظلم
وقد يورق الغض بعـــد الذبـــول
وقد يسفر الصبح بعد الظلم(٦٥)

وقد هب شعراء العراق يدعون حتى اثناء الحرب العالمية الاولى وفي اواخرها للمطالبة باستقلال البلاد ، والتحرر من كل سيطرة اجنبية • فهذا هو حسين كمال الدين يقول في عام ١٩١٨ :

«ولكن هلـــم بنـــا للكفـــــاح
فان به لغـــــة الامـــــــل
نحقق آمالنـــــا بالســـــلاح
وبالحـــــق نبطش بالباطـــــل
فلا عشـــت ان لم تكـــن سيدا
بمجهـــوده يقظـــة الغافـــل
ولا عشـــت الا عـــلى ثـــورة
تزيـــد بهـــا ثورة الناقـــل
ايبقى العـــــراق بـــلا منجـــد
عديـــم النصير بلا ناشـــــل
محال على يعـــرب ان تنـــام
على الضيم من دون ما كافل»(٦٦)

(٦٥ــ٧٢) د. جلال الخياط ، التبشير بالثورة وقيمها في الشعر العراقي المعاصر ، منشورات وزارة الاعلام ، بغداد ، ١٩٧٥ .

وهيأ عديد من الشعراء الاخرين للثورة ، كان ابرزهم محمد رضا الشبيبي ومحمد باقر الشبيبي ومحمد حبيب العبيدي ، فتسمع من العبيدي:

«أضرموا النار يا سراة العراق
واغسلوا العار بالدم المهراق
ان ضيما حملتموه عظيم
كاحتمال الاطواق في الاعناق»(٦٧)

وتسمع من خيري الهندواي :

«ويك لا ارتضي الحياة بذل
قم فمزق اهابها تمزيقا»(٦٨)

ومن محمد باقر الحلي :

«هو يطلبون على العراق وصاية
عجبا فهل ابناؤه أيتام»(٦٩)

وحين اندلعت نار الثورة ، عام ١٩٢٠ ، كان شاعرنا الاشهر هو محمد مهدي البصير ، الذي كان يطوف «المساجد والشوارع والاندية ، يلهب حماس الناس ويدعوهم للثورة على الاستعمار» :

«لايلبس الشعب حلة مجده
حتى تطرز بالنجيع القاني
واذا تتوجت الجماجم بالضيا
كانت لهن كرامة التيجان»(٧٠)

«اهلا بلامعة السيوف كانها
الشهب الثواقب
اهلا بأبطال البلاد
حماتها عند النوائب
ردوا لنا الحق الذي
ما ان نزال به نطالب»(٧١)

«غضبنا فقمنا ثائرين لغايـــــة
تهـون المنافي دونهـــا والمشانق
ورددت الاجـــواء قصـف زئيرنا
فردت عليه بالـــــدوي البنـادق
فهل تنطـــق الزوراء وهي اسيرة
وتسكت عما تبتغيـه المناطق»(٧٢)

والقى الشيخ محمد حسن ابو المحاسن في كربلاء ، اثناء احتـدام الثورة قصيدة جاء فيها :

«قد اطلق العاني وفك اســـاره
فالـم يبقى وهـــو في اغلالـه
وردت شعوب الارض باستقلالهـا
عـذب الرجاء ورويت بزلالـــه
افيحرم الشـــعب العراقي المنى
والشيء محمـــول على أمثالـــه
فازوا بنيل حقوقهـم وحقوقـــه
بضمان اهاية وعـــزم رجالـــه
ان يعط واجـــب حقـه فلحقـه
اولا فمفزعـة الى ابطالـه»(٧٣)

وفي المقابل ، كان خطيب جامع ابي حنيفـــة ، الشاعر منير افندي ملتهب الثورة :

«جرد الحـــزم وامتط العزم مهـــرا
وا ارى اليـــوم في التقاعـد عـــذرا
لست ارضى لـك الخمـــول شـــعارا
ومنادي العـلا يناديـــك جهـــرا

(٧٣ و ٧٤) د. كمال نشأت ، التبشير بالثورة وقيمها في الشـــعر العراقي الحديث ، منشورات وزارة الاعلام ، بغداد ، ١٩٧٥ .

صاح ان الشعـــوب قامـت تنـــادي
وتنال الحقوق بالســـيف قهـــرا»(٧٤)

واذا ما جئنا جميل صدقي الزهاوي ، فاننا سنجده (رغم تذبذبـــه وموقفه المهادن من الانكليز) شاعرا متمردا ، منتصرا لحرية المرأة ، وحرية القول والفكر والرأي ، ملتهب الاحتجاج الثوري على الاستبداد العثماني المطلق :

«لقد عبثت بالشـــعب اطماع ظالـم
يحملـــه من جـــوره ما يحمـــل
فيا ويح قـــوم فوضـــوا امر انفسهـــم
الى ملك عن فعلـــه ايس يســـأل»(٧٥)

وكانت مرثيته للخمسة عشر شهيدا الذين علقهم جمال السفاح (الوالي التركي احمد جمال باشا) على اعواد المشانق في دمشق وبيروت (١٩١٥ — ١٩١٦) ، صوتا ثوريا بليغا عرى وحشية الحكم التركي المطلق ، وهتـــف بالعرب للنضال ضد هذا الحكم والثورة عليه :

«على كل عـــود صاحـب وخليـــل
وفي كـل بيـــت رنة وعويـــل
وفي كـل جنـب مأتـم ومناحـــة
وفي كـل صـوب مقصـد وقتيـــل
وفي كـل عين عبـرة مهراقـــة
وفي كـل صـــدر عبـرة وغليـــل
كأن وجـوه القـوم فوق جذوعهـــم
نجـوم ســـماء في الصـــباح افـول

(٧٥) د. احمد الحوفي ، القومية العربية في الشعر الحديث ، مصدر سابق ص ٢٣٤ — يذكر الحوفي هنا ان الزهاوي نظم هذا الشعر عام ١٨٩٧ — .

كأن الجـذوع القائمـــات منابـــــر
علـث خطبـــاء عودهـن تقـــول
سمو كما شاءت نـــزار لولدهـــا
وبعـد كما شـــاء الفخـار وطـــول
قبـور ببيروت واخـــرى بجلـــق
تجـر عليهـــا الرياح ذيـــــول
لعمـرك ايس الامـــر ذنبـا اصابـــه
قصاص ولكـــن يعـــرب ومغـــول
جمال لانـــت القبـح سموك ضـده
وثوبـك اذ ارقلت فيـــه ذليـــل
تريـــد لمجـــد العـرب فيما اتيتـــه
زوالا ومجـد العـــرب ايس يـــزول
لقـد جئت امـــرا ياجمـــال مذممـا
وانفـــذت رأيا لا يـــزال يفيـــل
فما قبح ذاك القتـــل عنـك بزائـــل
ولا دنس التنكيـــل منـك غســـيل
رويـدك لا تغتر بالدهـر ان صـــفا
ولا تأمـن الايـــام فهي تـــدول
وراءك لاتقـــرب رواسي يعـــرب
فقرب رواســـيها عليـــك وبيـــل
ولا تتعـــرض يابن مورثـــة العمـى
لمجـد بني عدنان فهـو اثيـــل»(٧٦)

ولم يكن الزهاوي لوحده في هذه الثورة العارمة على السيطرة التركية الغاشمة ، فقد كان معه الرصافي ، وهو صاحب صوت اشد ثورية ومضـاء

(٧٦) المصدر ذاته ، ص ٢٤٤ــ٢٤٥ .

وبسالة ، كما انه حارب لا الاستبداد التركي المطلق فحسب بل حارب الاستعمار البريطاني وجلاوزته في العراق ، ولقي في ذلك العذاب والتشريد وصنوف الاضطهاد . يصور الرصافي مأساة الأمة العربية في ظل الحكم التركي الغاشم ، ويدعوها الى الانتفاض وطرح قيود الذل والعبودية :

«لهفي على العرب أمست هو جمودهم
حتى الجمادات تشكو وهي في ضجر
اين الجحاجح ممن ينتمون الى
ذؤابة الشرف الوضاح من مضر ؟
قوم هم الشمس كانوا و الورى قمر
ولاكرامة لولا الشمس للقمر
رُحوا وقد اعقبوا من بعدهم عقبا
ناموا عن الامر تفويضا الى القدر»(٧٧)

---

(٧٧) ديوان الرصافي ، بغداد . كذلك : المصدر السابق ، ص ٢٣٤ .
يورد الحوفي (المصدر السابق ، ص ١٢٥) ، ان الرصافي قد ذكر العرب بما جرته فرقتهم من ضعف وتخلف ، وبين ان الوحدة سبيل القوة والغلب ، ضاربا الامثال من تاريخ العرب انفسهم :

فقد لعمري افترقنا شر مفترق
وقد لعمري انقلبنا شر منقلب
كانت اوائلكم في وحدة تركت
اعداءهم قددا في قبضة الرهب
سلوا بذلكم اليرموك واديه
فانه بسوى ما قلت لم يجب
عن خالد بطل الابطال يخبرنا
اذ فل جيش العدا بالقتل والهرب
والقادسية عن سعد وعدلة
بقتل رستم رب العسكر اللجب
اذا علما بأن النصر طالعهم
من افق وحدتهم لم يبق من عجب

وينبري الرصافي الى الدعوة لنشر العلم ، والمعرفة ، فلا ثورة حقة دون تنوير عقلي تام ووعي فكري وسياسي شامل :

«الستم من القوم الالى كان علمهم
له كل جهل في الانام قتيل ؟
له همة ليس الظباة تفلها
وان كان منها في الظباة فلول ؟
الا نهضة علمية عربية
فتنتعش أرواح انا وعقول ؟»(٧٨)

ان الرصافي صوت متفرد اتى بالكثير في عصره ، وكان سباقا فيه راءدا ، بل ان العديد من مفاهيمه ونظراته التي تتبدى في ابداعه الشعري لا زالت ذات دلالة بالغة حتى في ايامنا هذه . لقد كان هذا الشاعر مستقبليا. وكان التمرد فيه يستشف رؤى المستقبل . بالاستقرار ، ويلاحمها بالواقع الدموي الاسود في عصره ، فتكون ثورته اصيلة ، مستقبلية ، لاتهادن ولاتتنكص :

«أرى مستقبل الايام اولى
بمطمح من يحاول ان يسودا
فوجه وجه عزمك نحو ات
ولا تلفت الى الماضين جيدا
وهل ان كان حاضرنا شقيا
نسود بكون ماضينا سعيدا
تقدم ايها العربي شوطا
فان أمامك العيش الرغيدا
واسس في بنائك كل مجد
طريف واترك المجد التليدا

(٧٨) د. احمد الحوفي ، القومية العربية في الشعر الحديث مصدر سابق ص ٢٣٥ .

فشر العالمـــين ذوو خمـــول
اذا فاخرتهـــم ذكـروا الجـــدودا
وخير الناس ذو حســـب قديـــم
اقام لنفسه حســـبا جديـــدا»(٧٩)

وكان ينظر الى المستقبل نظرة المؤمن به ، وباحقية نضال العـرب وثورتهم ، وبعدالة ما سيجيء به هذا المستقبل النضالي ، ومستقبل البشرية. والتحول نحو الافضل :

«انني مبصر تباشـــير صـــبح
مستفيض على ظـــلام الامانـــي
ليس تلـــك الدمـــاء في الحـــرب الا
شفقا مـن ضيائـــه الارجوانـــي
انني استشـــف من غـير الدهـــر
انقلابـــا يعـــم كل مكـــان
سيلـــوح الداني بـــه وهـــو قاص
ويلـــوح القاصي به وهـــو دان
ويكـــون المعـــز غـــير معـــز
ويكـــون المهـــان غـير المهـــان
وسـيغدو الضعيف محتـــرم الحـق
ويمسي الظلـــوم في خسران»(٨٠)

كما كان يؤمن بالحرية الفكرية دعامة للنهوض والتقدم . والاستقلال الحقيقي :

«هل الكفر الا ان تـرى الحق ظاهـــراً
فتضرب للانظـــار من دونـه ســـترا

(٧٩ و ٨٠) د. جلال الخياط ، التبشير بالثورة وقيمها في الشعر العراقي المعاصر ـ مصدر سابق ـ .

اذا كان في الاوطـــان للناس غايـــــة
فحريـــة الأفكـــار غايتهـــا الكبـــرى
فأوطانكم لـــن تستقـــل سياســـــة
. اذا انتم لم تستقلوا بهـــا فكـــرا»[٨١]

ولعل قصيدته المشهورة (والتي كانت تغنى وتترنم بها شفاه الجماهير) في الانتداب الانكليزي اقوى صوت شعري تأثر في عصره :

«علم ودســـتور ومجلس امـــــــة
كـــل عن المعنى الصحيـــــح محـــرف
اسماء ليس لنا ســـوى الفاظهـــــا
اما معانيهـــا فليســـت تعـــــرف
من يقرأ الدســـــتور يعلـــــم انـــه
وفقـــا لصـــك الانتـــداب مصـــنف
من ينظـــــر العالـــم المزخـــرف يلفـــه
في عـــز غير بني البـــــلاد يرفـــرف
من يأت مجاســـــنا يصـــــدق انه
يُـــراد غـــير الناخبين مؤلـــــف
من يأت مطـــرَد الوزارة يلفهـــــا
بقيود اهل الاستشـــارة ترسـف»[٨٢]

ان هذه القصيدة ، بحد ذاتها ، كانت بيانا ثوريا ، برنامجيا ، اذا صح التعبير •وقد كثرت الاشارات اليها ، وتداولتها الشفاه ، والاقـــــلام ، والصحف ، والمحافل سرا وجهرا • ولعلها تلخص ، خير تلخيص ، حقيقـــة الواقع الدموي الاسود في عراق الانتداب ، وفي عراق ما بعد الانتـــداب (اي عراق العهد الملكي ، الاقطاعي المباد) •

وعلى العموم ، كان الرصافي مع محمود احمد السيد ويوسف رجيب

(٨١ و ٨٢) نفســـه •

وفهمي المدرس ، والزهاوي (لحد ما) ، والكتاب القوميون ، والديمقراطيون (جماعة الاهالي ، بخاصة) ، يشكلون محور الكلمة المقاتلة في عراق العشرينات والثلاثينات والاربعينات ، ايضا • وكان الرصافي وشعراء العشرينات والثلاثينات (بينهم الجواهري وبحر العلوم والاثري وحافظ جميل ورضا الشبيبي) في الصميم من جبهة المعارضة للحكم الاستعماري وجلاوزته (على اختلاف في مستويات هذه المعارضة والمقاومة والتمرد ، واختلاف في البواعث والغايات) •

ويقف محمد مهدي الجواهري في طليعة شعرائنا المقاومين ضد الاحتلال ، والانتداب ، والحكم الوطني المزيف في العهد المباد ، وضد الصهيونية واسرائيل ، والتجزئة ، وضد لعنات الامبريالية ودسائسها ومؤامراتها كافة • يقول سميح القاسم ، شاعر فلسطين المقاومة ، في الجواهري (في قصيدة له عنوانها الى محمد مهدي الجواهري) :

« ياحتف زبانية لصوا
من ايدي الفقراء اللقمة

في صوتك روعة تاريخ
وبيارق نصر ملتمة
فاقذفه على البغي شواظا
واسكبه ضياء للامة »(٨٣)

وبالفعل ، فقد كان معظم شعر الجواهري ، تقريبا ، وافضل شعره بالتأكيد ، شواظا على البغي ، ومقاومة ضارية ، واعية ضد سماسرة البغي وتجاره وصانعيه وصانعي الاظلام من كل صنف ولون •

انه الجواهري في ملاحم «اخى جعفرا وخل الدم الغالي يسيل وعالم الغد وستالنغراد ويوم الشهيد والوتري وعدنان المالكي» وقصائده في

(٨٣) سميح القاسم ، المجموعة الشعرية الكاملة ـ مصدر سابق ـ •

فلسطين وتونس والجزائر ومصر • وهو وفي لعهده الثوري ابدا :

« عاهـدت نفسي وهي حلفـة مؤمـن يتعهـد
أن لا الجاـج خدعـة
فيما يـذم ... ويحمـد
كالسـيف اقطـع صارمـا
وكذلـك المتجـرد »(٨٤)

وبمثل هذا العهد ينطلق شاعرنا الكبير هاتفا بالشباب ، الذين غنى لهم ، طول عمره الشعري ، اروع اغانيه ، ملتحما بنضالاتهم الوطنيـة والقومية ، ان يتوحدوا ، ويجددوا ، ويتمردوا ، ويقاتلوا حتى النصر :

« قل الشـباب وهـم عـروق حميـة تتفصـد
ومسارج في كـل داجيـة تضـاء وتوقـد
يا خير من تثنى عليـه عـرى الرجـاء وتعقـد
لوا الصفـوف وحشـدو
وخذوا الطريـق وابعـوا
واستهدفـوا المرمى البعيـد
وشخصـوه وسـددوا
طرق الكفـاح مدلـلات
بالدمـاء تعبـد
يحيا النضـال بجمرهـا
وعلى حصاهـا يوادـ
وتوحـدوا فلطالمـا
غنيـت ان تتوحـدوا
ولطالمـا راح القصيـد
ومـن دمـي يتفصـد

(٨٤ ــ ٨٨) ديوان الجواهري ، منشورات وزارة الاعلام ، بغداد .

دلطالما علقـــــت بكـــــم
منـــه العيـــون الشـــرد
فتكاتفوا تزنـــد بكـــم كتـــف ابـــلاد وتعضـــد
ان الطـوارق لاتفـــــرق بينكـــم فتوحـــدوا[٨٥]

ويقول ، ايضا في ذات القصيدة :

« لا تصبروا ... ان الصبـــور على الاذى يتبـــاد
فاذا تعـــذرت الحيـاض على الـــورود فأوردوا
واذا برمتـــم بالعتيـــق من العقـــول فجـــددوا
واذا تمـــــردت الخطـــوب عليكـــم فتمردوا»[٨٦]

ان قصيدة الجواهري الشهيرة «أخي جعفرا» من السموق ، والاصالة، بحيث ترتفع الى مصاف اروع ذرى الشعر الثوري العالمي ، فهي ، بحـد ذاتها ، بيان ثوري ناصع ، فيه خطة القائد المحنك ، وتجربة الواعي الخابر نفوس الناس وتقلبات الاحداث ، وهندسة نفوس الجماهير :

«أتعلـــم أن جـراح الشهيـد
تظل عن الثـــأر تستفهـــم
أتعلـم ان جـــراح الشـــهيد
من الجـــوع تهضم ما تلهـــم
تمص دمـا ثـم تبغـــي دمـــاً
وتبقى تلـــــح وتستطعـــم
فقـــل للمقيـــم عـلى ذله
هجينـا يسخـــــر او ياجـــم
تقحـم ، لعنـت ، ازير الرصاص
وجـرب من الحظ ما يقســـم
وخضها كما خاضهـا الاسـبقون
وثن بما افتتـــح الاقـــدم

فاما الى حيث تبدو الحياة
لعينيك مكرمة تفنم
واما الى جدت لم يكن
ليفضله بيتك المظلم»(٨٧)

ان الجواهري لايفهم المقاومة دون تضحية ، ودون شهادة • ان دم الشهيد هو الطريق الى النصر ، فالدم والشرف مترابطان ، وقد كان العربي دوما وابدا يسخو بدمه من اجل شرفه ، فالحرية ضريبتها الدماء • يقول الجواهري في قصيدته «مؤتمر المحامين» عام ١٩٥٢ :

«سلام على حاقد ثائر
على لاحب من دم سائر
يخب ويعلم ان الطريق
لايسد مفض الى اخر
كأن بقايا دم السابقين
ماض يمهد للحاضر
سلام على جاعلين الحتوف
جسرا الى الموكب العابر»(٨٨)

ويقترن التمرد ، عند بدر شاكر السياب ، بروح ثورية نابضة ، مفرطة الحساسية ، مرهفة للغاية ، ولذلك فتمرده اقرب الى الرومانسية ، وخصوصا في بداياته ، وهو يترجم قلقا بالغا لايستقر على قرار • ان احساسه الحاد بمفارقات الحياة الاجتماعية ، الاقتصادية ، السياسية في عراق العهد المباد الظالم ، المظلم ، قد لون حتى غزله الباكر بنفحات التمرد وظلال المقاومة ضد قاتلي الجمال ومدنسيه والمتاجرين به •

على ان ملحمة «المومس العمياء» تلتحم ، عضويا ، بـ «الاسلحة والاطفال ، وغريب على الخليج ، وكل جيكوريات الشاعر» فالثورة واعية ، هنا ، تعرف منطلقها ، وتشخص هدفها ، وتحدد مسارها • فهو يصيح في

«المومس العمياء» صيحـــة شاعر الثورة ذي الرؤية الواقعية الذكية :

«ويح العراق ، اكان عدلا فيه انك تدفعين
سهاد مقلتك الضريرة
ثمنا لملء يديك زيتا من منابعه الغزيرة
كي يثمر المصباح بالنور الذي لاتبصرين؟ »(٨٩)

كما ان الوطن لدى السياب اكبر من ان يتحدد بالعراق ، فهو الوطـــن العربي كله ، ولذلك فانفعال السياب ، النبيل ، يجود برائع الشعـــــر ليس فقط في عراقنا بل وفي مغربنا العربي ايضا ، وعلى وجه الخصوص في الثورة الجزائرية البطلة :

«انا سنمضي في طريق الفناء
ولترفعي «اوراس» حتى السماء
حتى نروي من مسيل الدماء
اعراق كل الناس ، كل الصخور ،
حتى نمس الله ،
حتى نثور»(٩٠)

ان وهران الجزائر ، وبسالة المعركة العربية ، وصمودها العظيـــم ، يجعل شاعرنا مقاتلا بروميثوسيا عنيدا ، ويدفع به الى قافلة سارق النار ، متخلصا هو والانسان العربي من عذابات سيزيف :

«هذا مخاض الارض لا تيأسي
بشراك يا اجداث
حان النشور !
بشراك ... في « وهران » اصداء صور

(٨٩ ــ ٩٢) بدر شاكر السياب ، المجموعة الشعرية الكاملـــة ، دار العودة ، بيروت . كذلك : الشعر العربي الحديث وروح العصر ، مصدر سابق فصل بدر شاكر السياب .

سيزيف القى عنه عبء الدهور
واستقبل الشمس على «الاطلس» ! »[٩١]

اما معركة بور سعيد فتسلمه الى باب الحياة ليحرسه بكـــل قواه ؛ ولتعيد له انسانيته الطفلة والاصيلة في ان معا (ويتجلى ذلك ، بخاصـــة : في قصيدته «النهر والموت») :

«أود لو عدوت اعضد المكافحين
لشد قبضتي ثم اصفع القدر
اود لو غرقت في دمي الى القرار
لاحمل العبء عن البشر
وابعث الحياة • ان موتي انتصار»[٩٢]

ان الموت لدى الشاعر الثوري هو سبيل الانتصار ، وباب من ابواب الحياة ، والتضحية بالدم هي الطريق اللاحب الى الحرية •

اما عبدالوهاب البياتي فيقدم نفسه الى الجمهور ، في بيان برنامجي، يتضح بعضه في الاشعار التالية التي تلخص رسالة الثوري :

«سأدوس في قدمي دعاة الفن
والمتحذلقين
وعجائز الشعراء والمتسولين
واحطم الاشعار فوق رؤوسهم
فدم الحياة
يجري بأعراقي
واني لن اخون
فلتذهبي ياربة الشعر الكذوب الى الجحيم
فأنا هنا استلهم الاشعار من حبي العظيم»[٩٣]

(٩٣ ــ ٩٦) عبدالوهاب البياتي ، المجموعة الشعرية الكاملة دار العودة ، بيروت •

ويتضح بعضه الاخر في الالاشعار الاتية ، التي تأتي متممة للمقولة السابقة ، مملتحمة معها ، جدليا :

«شعبي العظيم
اني وهبتك كل مافي عالمي الارضي
من حب عميم
حبي لاطفالي
وحبي للعصافير الصغيرة والنجوم
وغمست بالدم ريشتي ....»(٩٤) .

ان هذا الشاعر الذي يغمس بالدم ريشته ، يؤمن بشعبه ، ايمانه بنفسه • ومن هنا يمكن سر هيام البياتي بالنماذج الشعبية . والابطال المجهولين ، بأبناء الشعب ، الذين يمكن ان ندعوهم ، كما دعا مكسيم غوركي ابطاله : البسطاء العمالقة • انهم ابناء الشعب في وطننا العربي الثائر . الذين يتقدمون الى الموت بخطى واثقة دون ان يخونوا الحرية ورسالتهم الثورية :

«نزعوا اظافره
وظل طوال ليل الليل صامد
ضربوه حتى الموت
لم ينبس
فظل طوال ليل الليل صامد»(٩٥)

ان شعر البياتي ، الذي بدأ بداية ثورية عربية ملهمة ، يظل يمجد الشعب العربي ، ويظل يكرس الفن الشعري له ولمعركته المقدسة :

«المجد للشهداء والاحياء من شعبي
والمتمزقين الصامدين
المجد للاطفال في ليل العذاب
وفي الخيام

المجد للزيتون في ارض السلام
وللعصافير الصغيرة وهي تبحث في تراب
حقلي ، وللجيش المرابط في حدود
وطني الكبير ،
جيش العروبة والخلاص ·
المجد للشعراء والكتاب ، احباب الحياة ،
الخائضين اليوم معركة المصير
والضاربين يد الطغاة»(٩٦)

ويعتبر الشاعر شفيق الكمالي رمزا خصبا ، وعلما من اعلام ادب المعركة القومية في وطننا العربي · لقد استخدم هذا الشاعر ، واستثمر امكانيات الروي العمود والروي الحر من اجل التجويد في التعبير ، والتدقيق في التوصيل ، والاسهام في التغيير والتثوير · وكان ولازال في الصفوف الاولى ·

واذا كان ثمة سمة اساسية تميز شعر الكمالي . فهي الايغال البعيد في التراث . دون ان يستبعده التراث . وبالاحرى دون ان يتحجر فيه · ان انفاس الصحراء . ورؤى القوافل ، وصهيل الخيول ، وقعقعة السيوف تسوح معظم اشعار الكمالي . بل وتبين حتى في غزله · لانريد ان نقول ان الشاعر صحراوي . بمعنى (تقليدي) ، فلا يمكن ان يكون الشاعر حديثا ، جديدا ، وصحراويا تقليديا في ذات الوقت ، انما هو عميق الصلة بالتراث الكفاحي ، شديد الايمان بالعروبة ، قوي الحس القومي · ويعتبر ديوانه «رحيل الامطار» . لا يضم كل قصائد الشاعر ا على اية حال ، وثيقة هامة ممن وثائق شعر المعركة في الخمسينات والستينات · اما من حيث المذهب الفني فالشاعر يراوح بين مواقع الرومانسية والواقعية · وما رؤاه الصحراوية الا تعبير عن رومانسيته ، التي هي رومانسية ثورية تتلاحم بالواقعية وتمهد لها · فان الشاعر يبدع ، خير ابداعه ، حين ينطلق مع

سجيته رومانسيا ثوريا بثياب معاصرة ، دون ان يجانف الواقعيـــة او يضادها .

ان لازمة الشاعر الثورية تقول ان الامة العربية لن تموت ، ولـن تستسلم امام الاعداء . وان الشعب العربي العريق في الحضارة سيظـل يبدع ويجود بالعطاء والثورات ، فالحريـــة غرزت في دمه ، وزرعـــت في اوصاله :

«الراية عادت خفاقة
الجبل الاخضر نار
بيروت القلعة
ناقورة دم
ابناء عمان
.... صوت يدوي
عرب عرب لا ان نخضع
بغداد الثورة
هزت اركان الدنيا
عادت بغداد العربية
«بسم الله
... بسم الوحدة ... »
من اعماق الشعب الثائر
دوت للعالم اغنيـــة»(٩٧)

ويستقطر الشاعر امكانات الثورة العربية المعاصرة ، ويلاحمهـــا بالثورة في بغداد عام ١٩٥٨ ، ويلاحمها ، ايضا ، على نحو عضوي بالتاريخ

(٩٧ ــ ١٠٠) شفيق الكمالي ، رحيل الامطار ، منشورات وزارة الاعلام بغداد . كذلك : شفيق الكمالي والنضال من اجل الحرية لكاتـــب السطور ؛ جريدة الثورة ، البغدادية ، العدد ٣٩٠ ، ٤ شباط ١٩٨١ .

العربي ، بتاريخ الحضارة العربية ذات الوجه الانساني . والسمح : الطلق:

«الشعلة في جوف الصحراء
نور وردي يتلألأ
الراية في قبضة طارق
شمس وضاءة
والبحر سفين
اشرعة بيضاء كالطهر
كرمال الصحراء
بسم الله المجرى والمرسى
ياغرناطة
يابركة نور لألأة
يا فيضا منفجر العرب ....»(٩٨)

ان روح الصحراء الرومانسية ، روح البدوي العربي الثائر . ولكن بمواضعات عصرنا ولغته وسلاحه ، تتغلغل حنايا شاعرنا . دون ان تبعده عنا . فالاسلوب ملك الشاعر ، وطريقة التوصيل تخصه هو قبل غيره . غيره . والذي يهمنا ان شاعرنا ، هنا ، في الذروة من المعركة ، وانه لا يستعير اسلحة غيره ، بل يقاتل بسلاحه ورؤاه :

«اعصار ثار من الصحراء
دوى في الافق صهيل الخيل
الشعب الاسمر ثار
عدنا عاد الفارس للساحات
يا شمس العار انكسفي
المارد يترك قمقمه
صحراء العرب ولود ...»(٩٩)

وبكل ايمان الشاعر الثوري المعاصر ، وبكل لوعة البدوي وعزمه

يهتف الشاعر داعيا لمواصلة القتال حتى النصر :

«ما اروع ان يصنع شعب تاريخه
ان يغرس في عين الشمس بيارقه
يا فجر الوحدة يافيضا
لفع بالنور بوادينا
ريشارد مضى
حطين هنا
وسيوف صلاح الدين ورثناها ...»(١٠٠)

ان القتال بهذا الشكل الشعري ، وبأمثال هذه الرؤى التي استلهمها الكمالي ، نجده لدى شعراء مقاتلين اخرين مثل حميد سعيد ، وعبدالامير معله ، وان كان يكتسب سمات متميزة خاصة بالطبيعة الشعرية والمكونات الثقافية لكل من هذين الشاعرين .

ومن حيث الروح الرومانسية ، فان الكمالي يجد رفاقا كثيرين في معركة الكلمة المقاتلة ، منهم خالد الشواف ، ومنهم بلند الحيدري ، الذي يفارق الكمالي في التوجه ، فهو شاعر المدينة قبل اي شيء ، فيما يكون الكمالي ، وحميد سعيد ، وعبدالامير معله شعراء البادية المعاصرة .. ان بلند الحيدري يقاتل بشعره كل صنوف الظلام والاستغلال والزيف ، وهو في سائر دواوينه بدءا بـ (حفقة الطين) حتى (حوار عبر الابعاد الثلاثة) يظل اسير المدينة . وحبيس رؤاها ، وهي رؤى ثورية ، على اية حال ، وان اختنقت بهواجس الذات واستبطاناتها احيانا . وهكذا ، فاننا نسمع بلند في (حوار الابعاد الثلاثة) يقول على لسان احد المتحاورين :

«اعتقني يا زمن النزف
انزل ابليسك عن كتفي
سادك جبالهم
سأهد كهوفهم

وسأوقظ في موتهم حتفي ...»(١٠١)

ويتميز سعدي بأسلوب متفـرد ، هو الاخر . وقد افاد الكثير مـن انجازات ، وعوالم لوركا ، ونيرودا، ومدرسة الشعراء الفرنسيين الحدثيين.

ان العوالم المتمردة ، عوالم النـاس البسطاء ، الثوريين ، الذين يؤثرون الصمت في العمل والكفاح ، والذين يتميزون بطبيعة جنوبيـة راديكالية اصيلة ، والذين لايتقنون الحذلقة ، ولكنهم يتقنون التضحيـة حتى بالدماء ، ان هذه العوالم تنفرش بكامل رحابتها في قاع نسيج الشعر الحديث لدى سعدي ، خصوصا في ديوانه (اه قصيدة) . ويقدم الشاعـر هويته مؤمنا كل الايمان بالثورة العربية وانتصارها الحتمي :

«ياقطار العرب
القنيفي الزوبعة
صارخا بين الجموع المفزعة
حاملا قلبي المناديل وكفي البندقية
والشموس العربية
ولامت حين تموت الاغنيات العربية
انني قاتلت من اجل هواها
ولقد مرغت وجهي في ثراها»(١٠٢)

اما الشاعر كاظم جواد فيهب ديوانا كاملا للحريـة اسماه «من اغاني الحرية» . ويعتبر هذا الديوان وقصائد اخرى لم يضمها الديوان دليلا بليغا على تعلق الشاعر بالثورة والحرية ومقاومة اعداء الانسان واعداء الثـورة والحريـة .

ويضم الديوان قصائد تتحدث عن مقاومة الشعوب للامبرياليـة في

---

(١٠١) بلند الحيدري ، المجموعة الشعرية الكاملة ، دار العودة ، بيروت.
(١٠٢) سعدي يوسف ، الإعمال الكاملة ، مطبعة الاديب البغدادية ، بغداد ، ١٩٧٧ .

اسيا وافريقا ، واميركا • وثمة عديد من القصائد مكرس ، اصلا ، لثـــورة الشعب في العراق (في الخمسينات) ، وللثورة العربية ، وخصوصا في رموزها في بور سعيد ، وفلسطين المحتلة ، والجزائر • ان الشاعر ينذر نفسه لاغاني المقاومة للقتال في سبيل الحرية العربية ، وينطلق بأغانيـــه سائحا العالم ، متحدثا باسم المقاومة العربية ضد الامبريالية • فهو في برلين (في ٢٧ تمـوز ١٩٥٨) يكتب قصيدة رائعة ، ايام كان يحضر مؤتمر الحضارات الشرقيـــة ، فيتوعد عالم رأس المال الافل ، والامبرياليةفاضحاجوهره المعادي للانسان:

«••• لكن هتلر لم يمت ، في الارض الاف كهتلر
متعطشون الى الدم المسفوح ، مسعورون اكثر
فهناك صوب الغرب ، حيث الحقد ، والدم والطول
في اللافتات ، وفي الشعارات الصغيرة ، والطبول
تتوعد الاسعار تاريخ الحضارات والشعوب
وترن صيحات الحروب • »(١٠٣)

وشارك الشاعر في المقاومة الشعبية ، في حلب عام ١٩٥٧ ، وهـــو عميق الايمان بأن ابناء فلسطين العرب سيعودون لها وطنا عربيا ، كريما ، حرا • ان هتاف « سنعود » يترجمه الشاعر شعرا رائعا ، فنسمع في قصيدة له ،اهداهاالى جيش عدنان المالكي ، في يوم طبريا ، وكتبها عام ١٩٥٤ :

«••• ويظل الاف الصغار بلا جواب يسألون :
«كيف ارتحلنا ؟ كيف غادرنا قرانا المشرقات
ابدا ستسأل عن اغانينا ، وتهمس هل نعود ؟ »
والاعتداء الصارخ الوحشي ، والدم ، والجنود :
« سنعود يا حطين » حيث ترن اغنية الزمان
ويردد التاريخ « من حطين ابدأ من جديد »

(١٠٣ و ١٠٤) كاظم جواد ، ديوانه ، من اغاني الحرية ، دار العلـــم للملايين ، بيروت .

ولهيب اصداء المدافع يزرع الارض الموات
بالصيحة الحمراء ، بالفجر البطولي الكبـــير ، وذكريات القبرات»(١٠٤)

اما الشاعر عبدالرزاق عبدالواحد فهو من رادة الشعر الحديـــث في العراق ، فقد كتبه مع السياب ، ونازك ، وبلند ، في ذات الفترة تقريبا. وله مجاميع عديدة ، منها لا حصرا «طيبة ، والنشيد العظيم ، واوراق على رصيف الذاكرة ، وخيمة على مشارف الاربعين . والخيمة الثانية» وغيرها . وقد اشتهر الشاعر بقصيدته «من ظلمة العراق» التي صور فيها حال العراق في العهد المباد . ومقاومة الشعب ضد الامبريالية وجلاوزتها من كل نوع .

ومن اروع قصائده الملهمة ، قصيدته بمناسبة التأميم ، وهو انتصار كبير ، وانجاز عظيم للثورة ومعركة الحرية في العراق ، فقد اعاد الكرامـــة المهدورة ، وحقق الاستقلال الاقتصادي ، ومنح الشعب حقه السليـــب في نفطه الذي انتهبته ايدي الامبرياليين وجلاوزتهم . انه يقـــول في هـــذه القصيدة (حزيران ١٩٧٢) بكل جزالة الروي العمود وقوته :

«هو الشعب من خمسين غالوا ورعبـــوا
وجذوا ، جذورا ، واستباحوا ، وصلبوا
ومازال ، مـــن خمسين غابـــة جنـــــدل
تفـــور بهـــا الاغصـــان أيـــان تحطـــب
هو الشعب ، ادموا ، منذ خمسين ، صبره
وقد تعبوا ، والشعب هيهـــات يتعـــــب
لقد حز حتى لم يعـــد فيه مبضـــــع
وقد شج حتى لم يعـــد فيـــــه مضرب
فأرغى خضيـــــب الدر ينفـــث غيظـــه
وتعلم مايأتيـــه شـــعب مخضـــب»(١٠٥)

(١٠٥) لغة النار الازلية ، مصدر سابق .

ان الشاعر يقدم نذوره من اعماق قلبه ، وكأنه يتنبأ بانجاز التأميم العظيم • انها نذور شاعر يوحد صوته بصوت الشعب المقاتل ، تتقدم الينا عبر الروي الحر ، متلاحمة مع انحازات الروي العمود السالفة ، شاهدة على

«نذر علي ، ... اخضب الابواب بالحناء ...

ازرع راية في سطح بيتي

نذر علي ، اذا سمعت الخيل تصهل

والهلاهل

وأهلة الاعلام تسبح فوق هامات الرجال

نذرت اذا ماجت يشامغ الرجال

بين الاهازيج السخية

سأشد خصلة شعر اختي في زناد البندقية !»(١٠٦)

ويغتني شعر الثورة والحرية والمقاومة والقتال ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية ، بانجازات شعراء رائعين مثل سامي مهدي • ومحمد جميل شلش وعلي الحلي •

يجد الشاعر سامي مهدي تجسيد الفكر الثوري العربي في الصحابي الثائر الكبير ابي ذر الغفاري ، فيكرس له ملحمة شعرية بعنوان «من سيرة ابي ذر الغفاري ، جندب بن جنادة» نشرها في ديوانه «رماد الفجيعة» ، عام ١٩٦٦ • ان هذا الصحابي الثائر المنفي ، يمثل ، عند الشاعر ، عنفوان الايمان بالمبدأ والقضية ، وشموخ النقاء الثوري ، والثبات على القيم :

«تهيأت الركائب للرحيل ، وخف حاديها

وماج سنام ناجيه وحيزوم

ومل نؤوم ويظل دون السفر محموم

طريحا ، يابس الشفتين ،

يفلت حائرا الكلمات تبحث عن معانيها

(١٠٦) نفسه .

أصابعه تشد الارض ، تلمس رملها فلربما فيها
غبار من رسول الله :
ناقته هنا٠ وهناك خيمته
ويملأ صوته الصحراء اقوى من سوافيها :
«عرفنا من يخن الله !» ريح السفر ، واهتز مرى الجوزاء
«اهذا جندب قد حم ؟ » قال السفر في وجل
«اما من ماء؟!»(١٠٧)
«هنا الصحراء توقظ فيه وحدته واحزانه ،
وتطوي تحت زيف العصر محنته وانسانه !
فمن يدري بمحنته !
ومن يصغي الى صوت النبوة عبر صيحته ؟!
لقد حظروا على الاذان ان تتعبز الاصوات
فشاهت رنة الكلمات!»(١٠٨)

يقول الشاعر ، محمد جميل شلش . في «برقيته المفتوحة» من برلين في (٢٢ ايلول ١٩٧٠) :

«فلترفعوا اصواتكم رصاص
ولتعلنوا اراءكم رصاص
ولتنشروا راياتكم رصاص
فان دروب النصر والخلاص
من سلالة الملوك
والنازية
يمر في حطين واليرموك

(١٠٧) سامي مهدي ، ديوانه ، رماد الفجيعة ، مطبعة دار البصري ، بغداد ، ١٩٦٦ ص ٢١ .
(١٠٨) نفسه ، ص ٣١ .

من فوهة بندقية»(١٠٩)

ان مثل هذه المقولة الثورية الناضجة التي تقول بالتقاء درب الثورة العربية بدرب الاشتراكية ، وبأن طريق خلاص اوربا من الفاشية يمر ، شعر شلش ، وفي العديد من دواوينه وقصائده الاخيرة ، التي لم ينتظمها الامبريالية ـ الصهيونية ـ الرجعية ، باعتبار توحد اسس اصول الفاشية والصهيونية والرجعية المحلية والعالمية ، نقول ان مثل هذه المقولة نجدها في شعر شلش ، وفي العديد من دواوينه وقصائده الاخيرة ، التي لم ينظمها ديوان بعد • ان الثورة درب الحياة ، وطريق الشعوب نحو الحرية ، ونحو الغد الافضل :

ـ «فلتشهدي ايتها الشعوب
وليستيقظ العملاق
من كابوسه الثقيل
ولينفجر بركان هذا الجيل
فليس للثورة من بديل»(١١٠)

ـ «وتنشقي البارود عطـــر بطولـــة
وتنسمـــي وهـــج اللظى وتجلـــدي
وتمـــردي يا امتـــي ، فلطالمـــا
عنـــت الخطـــوب لساعـــد متمرد»(١١١)

اما الشاعر علي الحلي فقد كرس شعره ، شأنه شأن الكمالي وشلش للثورة العربية ، ومعركة الحرية ، وللبعث في العراق والوطن العربي • وقد اصدر ، لحد الآن ، عددا جما من المجاميع الشعرية ، بينها «ثورة البعث» ،

(١٠٩) محمد جميل شلش ، ديوانه ، الموت والميلاد ، قصيدته ، برقية مفتوحة ، كذلك : المجموعة الشعرية الكاملة دار العودة ، بيروت .
(١١٠) نفسه ، قصيدته ، الى شعوب العالم .
(١١١) محمد جميل شلش ، ديوانه الحب والحرية . كذلك : المجموعة الشعرية الكاملة دار العودة بيروت .

«وغريب على الشاطىء ، والمشردون ، وانسان الجزائر ، وطعام المقصلة ، وشمس البعث ، والفداء ، والشاعر ، وانا شيد البعث ، ومواسم العشق والرصاص» • ان لغة الحلي تمتاز بالوضوح ، والحدية ، والعنف ، والتشديد على التوجه الايديولوجي ذي الهوية البعثية القومية • وينظر ، في بعض شعره ، الى تجارب سليمان العيسى وعبدالباسط الصوفي الشعرية ، وقد افاد من مطالعاته الاجنبية ، ومن ممارساته الثورية النضالية الاصيلة • يقول الشاعر في قصيدة له في ديوانه «شمس البعث والفداء» وكأنه يتحدث باسم كل رفاقه ، ممن نذروا الكلمة المقاتلة لمواصلة الثورة والفداء حتى النصر:

«نحن اقسمنا على الموت رفاقا امناء
لن يخونوا الحزب ... لن يخطوا وراءه
ابدا نحيا مع البعث كشوق الانبياء
نتحدى الهول والاعصار في سوح الوفاء»(١١٢)

وقد كرس الشاعر العديد من قصائده للثورة الجزائرية ، وقد ضم اكثرها ديوانا المشهوران «انسان الجزائر» و «طعام المقصلة» •

وتأتي قصائد ديوان «شمس البعث والفداء» متابعة شعرية ثورية

---

(١١٢) علي الحلي ، ديوانه شمس البعث والفداء ، وتنظر لذلك قصيدته رسالة من دمشق ، المؤرخة ٥ــ١٠ــ١٩٥٧ ، حيث نقرأ :

«... واظل اصرخ من اغاريد القرار :
طفلي وطفلك ، يا اخي الانسان ، ان يهوى غاواه !
في مهجرية يهور اعصار الاباء
مازال يلهث والشفاه مجامر العطش المثار
ويعضه الجوع المشبع من هوان الابرياء
سنعود كالفجر المطارد ليل مجزرة الدماء
والبعث .. خطو النور من شفق الفداء
ينسل من اغفى الملايين المصفدة الحزينة
من افق فجر الكادحين
وكوة الوطن السجين»

وشدوان» (وهي قصيدة تتلاحم مع قصيدة الشاعر المصري المعروف احمد لاحداث الثورة العربية ، فنجد قصائد في الفدائيين . «وبنزرت ودمشق عبدالمعطي حجازي ، في ذات الموضوع) •كما نجد قصائد في البعث وميلاده وشمسه وملحمته وشهدائه • ويلاحم الحلي هذا الشعر بشعره في رموز الثورة العالمية (جيفارا ، زنجبار . لومومبا) وغيرها من الرموز •

ويقدم لنا ديوان التأميم الشعري ، نقصد به كتاب «لغة النار الازلية» ، وهو ديوان غير كامل ، على كل حال ، اذ لم ينتظم كل قصائد الشعراءومنهم البياتي والحلي وغيرهما . يقدم لنا اضمامة من الشعر الثوري ، الذي يتغنى بالانتصارات الثورية ، والانجازات على درب التحولات الاجتماعية القائدة نحو الاشتراكية • على ان هذا لايعني ان شعر الاشتراكية لايدخل في شعر الثورة والحرية ، فبالعكس ، فان الشاعر الذي يمجد الاشتراكية ويغنيها ويدعو لها ويعيش تحولاتها وانجازاتها وارهاصاتها ، على نحو ادق ، انما هو من شعر الثورة والحرية في الصميم . وفي السويداء •

وتأتي معركة (قادسية صدام) فتلهم الشعراء العراقيين ، وعديدا من الشعراء العرب المعاصرين ، الكثير من القصائد ، والمقطوعات الشعرية ، والرجز ، والاهازيج ، التي لو جمعت ، جميعا ، لتجاوزت بضع مجلدات • ولا زالت المجلاتوالصحف تصدر الملفات الخاصة ، والاعداد الخاصة بالشعر في قادسية صدام • كما لازال هذا الشعر ينثال في قرائح الشعراء . ويملأ اعمدة الصحف والمجلات ، وبرامج الاذاعة المسموعة والمرئية ، ذلك ان كل انجاز وكل انتصار يحرزه المقاتلون البواسل في سوح القتال وجبهاته المختلفة يلهم الشعراء العديد من القصائد والمقطوعات الشعرية (ولا يقل الشعر الشعبي ، هنا عن القريض ، لا في الكم ولا في النوع) •

وليس من اليسير ، بعد ان تابعنا ابرز معالم ثورة الشعر العربي المعاصر ، وشعر الثورة والتمرد العربي المعاصر ، واطلنا بعض الشيء ، ليس

من اليسير ان نقف الوقفة التفصيلية التي يستحقها شعر المعركة الجديدة ، فهو غزير جدا ، وسيله لم ينته ، بل هو مستمر يتجدد . وينمو ، ويتعاظم باستمرار،مع استمرار المعركة واتقاد ضرامها المستعر • ان ذلك يحتاج دراسة خاصة ، مفصلة ، ووقفة مدققة راصدة ، ليس مجالها . هنا (بعد ان تابعنا شعر الثورة في بحر قرنين من الزمان تقريبا) • وحسبنا ان نشير الى ابرز شعراء المعركة الجديدة ، وهم : شفيق الكمالي ، ومحمد جميل شلش ، وعبدالرزاق عبدالواحد ، وعلي الحلي . وخالد علي مصطفى ومحمد حسين ال ياسين وعلي الياسري ، وكمال الحديثي ، واديب ناصر ، ومنذر الجبوري (وغيرهم كثير) • ولنا ايضا ان نشير الى قصيدة «كفؤها ياعراق» ، احدى ابرز قصائد هذه المعركة ، وقد كتبها الشاعر عبدالرزاق عبدالواحد ونشرتها مجلة «افاق عربية» ، وجاء فيها :

«يا جنود العراق ، ياعز اهلي
يا شموسا على شموس تساق !
يا نسور الحديد ، اعلام سعد
ابدا جنح نسرها خفاق!
يا جبال الحديد من الف عام
وجبال الحديد فينا عتاق !
يا صلاح الدين الذي من حمانا
فز حتى ضجت به الافاق
يا فرات العشرين ، يا دجلة الخير
ادلهما ، واطبقي يا رقاق
انه مجدكم جميعا فهبوا
انه الخالد العظيم العراق ! »(١١٣)

---

(١١٣) مجلة افاق عربية ، العدد الخاص بقادسية صدام ، ٣ ، ٤ تشرين الثاني ــ كانون الاول ١٩٨٠ ، قصيدة الشاعر عبدالرزاق عبدالواحد «كفوها يا عراق» ص ١٦٠ .

كما لنا ان نشير الى قصيدة الحرب «في ملف» على هامش المعركة الشاعر ذي النون الاطرقجي :

« زهرة من دم
نبتت في الجراح وفوق الضلوع
وارتوت من مسيل الدموع
مطهر
ظل يغسلنا بالحريق
ويرمي الى النهر اجسادنا
نتعمد بالدم ، نعبر
كل عبور شروق
وحين نواجه ميتتنا ، نتجاور قاماتنا
ونصير عمالقة نصنع القدر الصعب
نقتتل ، نحيا
فاما اصطرعنا فذاك اصطراع الكواكب
وهي تصوغ مجراتها
فاذا سقطت فجلال السديم
وافق انتثار النجوم»(١١٤)

ولنا ، ايضا ، ان نشير الى قصيدة الشاعر الدكتور محمد حسين ال ياسين الرائعة في (المحمرة) ، والتي جاء فيها :

« يا ابنة الخلـــد اوحشـــت كل قلـب
من اماســـــيك عذبـــــة قمـــــراء
عسعست ليلـــة الاضاحـــي فهـــال
العيـــد ان الحجيـــج فيهـــــا افاؤا

(١١٤) مجلة الجامعة ، تصدرها جامعة الموصل ، السنة الحادية عشرة، العدد الرابع كانون الثاني ١٩٨١ ، قصيدة الشاعر ذي النون الاطرقجي . (على هامش المعركة) ، ص ١٠٣ .

اي عرس زفـــت الى النصر فيـــــه
لف صرعى كؤوســـــه الانتشـــــاء
الدجى ثوبهـــا ، ولعلعـــة النـــار
الاغاريـــد ، والـــــدم الحنـــــاء
مج اشـــبالك الحليـــب دمـــاء
فلثدييـــك تسجـــــد الاثـــداء
منذ دهـــر وخنـــدق الحـق يعلـــو
خنـــدق البغـــي والرمـــاح ازاء
برعمـت الـف اصبـــع وزنـــاد
في وغى الله اصـــــبع بتـــراء
فازهـــار الغصـــون حتـــم اذاما
در بالخـــير جذرهـــا المعطـــاء
وغدا لو تفاخرت بينها الجنات فازتمن فخرهاالشهداء(١١٥)

وينبغي ان نقول ، بالمناسبة ، ان قصائد شعراء قادسية صدام تستند الى تراث حافل من قصائدهم في الموضوعات الوطنية والقومية ، فهـــي استمرار ، وهي تطوير لما بدأوا به . وماعاشوه من معارك وثبات . فالياسين الذي مثلنا له . توا . يذخر في شعره عديدا من القصائد القومية . كقوله في ديوانه (مملكة الحرف) :

ـ «اخي العربـــي وانـــت الرجاء
وان عـــز مطلبنـــا المطلـــــب
افـــق فنضالـــك مما تظـــــن
اشـــد ، ومما ترى اصـــــعب

(١١٥) مجلة المراة ، يصدرها الاتحاد العام لنساء العراق . العدد ١٢٧ الصادر في ١٥ـ١٢ـ١٩٨٠ قصيدة الشاعر محمد حسين ال ياسين . الى المحمرة، كتبها في ٢٤ـ١٠ـ١٩٨٠ ص ٤٤ـ٤٥ .

أتقبض كفك خوف الضياع
وفي بسطها الافق الارحب
وتغمض عينيك خوف الظلام
ومن نورها يهرب الغيهب
وتبخل بالدم وهو الرخيص
ومن سكبه يزهو المجدب»(١١٦)

— «وبالدم يعرب هذا الزمان
بتاريخه والدنى تكتب
وبالدم ترجع مزهوة
بلاد مضيعة تسأب»(١١٧)

واخير . وليس أخرا . لابد لنا ان نقبس بعض ما جاءت به قرائح بعض الشعراء العرب في المعركة الجديدة . فقد اصدرت مجلة «البيان» لسان حال رابطة الادباء في الكويت «عددا خاصا بعنوان (الشعر في معركة العربة) اسهم فيه د. خليفة الوقيان . ود. عبدالله العتيبي ، وخزنة بورسلي . وعبدالله سنان ، ويعقوب السبيعي ، وفيصل السعد . وجنة القريني ، وسليمان الخليفي ، وعبدالله احمد حسين . ولنا هنا ان نقتبس من يعقوب السبيعي هذه الابيات في قصيدته «بغداد وصناعة المجد» :

« عرين العروبة من غابر
ومبعث امالنا الحاضره
اذا ما اشتهى المجد صناعه
فبغداد بالمشتهى زاخرة
احبك بغداد ، لاراغبا
ولا راهبا ، انها الاصره »(١١٨)

(١١٦ و ١١٧) محمد حسين ال ياسين ديوانه مملكة الحرف بغداد ١٩٧٩ .
(١١٨ و ١١٩ و ١٢٠) مجلة البيان ، لسان حال رابطة الادباء في الكويت ، عدد خاص بعنوان ، الشعر في معركة العروبة ، العدد ١٧٧ ، ديسمبر / كانون الاول ١٩٨٠ .

ومن قصيدة الدكتور خليفة الوقيان «اغنية لبغداد» :

« بغداد ياشفة الزمان البكر والوجد المصفى
ياتؤام التاريخ ترتجل المنى سيفا وحرفا
ياغيمة يسع العوالم ريها منحا وعطفا
الحب بعض من عطاك ذاع في الانحاء عرفا
والمجد ومض من سناك ادار في الافاق طرفا»[١١٩]

ومن قصيدة «تداعيات ابي بصير الاعشى» للدكتور عبدالله العتيبي

« كاد الزمان على ابوابنا يقف
لو ان صحبك اذ ناديتهم وقفوا
حين اشرأبت بنا الايام ، واعتصبت
بنا الليالي وسار الحق ينتصف
وصالحتنا الرزايا عندما علمت
بأننا من حياض الموت نغترف
نهوى الحياة ربيعا بيد ان بنا
طبع الكواسر حين الحق يختطف

ان الفرات اذا حاشت غواربه
فألف ارض من الطوفان ترتجف »[١٢٠]

— ٨ —

والان ... فما هي الاستنتاجات التي يمكن الخروج بها من بحثنا المستفيض هذا في استقصاء وتتبع اهم ملامح ومميزات وانجازات شعر التمرد والثورة العربي المعاصر ؟

١ — اول هذه الاستنتاجات — هو ان شعر المقاومة ليس هو كل شعر الثورة والحرية ، بل هو جزء منه ، فشعر الثورة اكبر واوسع . واذا فهمنا المقاومة بالمعنى الضيق ى اي بمعنى مقاومة الاحتلال فحسب — فان

شعر المقاومة يكون ، بالتالي ، محدود الكم ، محدود الزمان . اما نحن فنميل الى دمج شعر المقاومة بشعر الثورة والحرية . باعتبار ان شعر الثورة هو شعر المقاومة يكون ، بالتالي ، محدود الكم . محدود الزمان . اما نحن فنميل والرجعي . وهو ، كما رأينا ، شعر ثر كبير المعطيات ، واسع الابعاد والافاق .

٢ ــ كما ان شعر المناسبات والاحداث الثورية هو بعض شعر الثورة والحرية والمقاومة . ولا سبيل الى الغض او التهوين منه . فان هذا الشعر الظرفي يكتسب شموليته . وعمقه . وجوهره الايديولوجي ــ الجمالي الهام ، بتصويره الحدث المعين ، وموقف الشاعر منه تصويرا فنيا . واقعيا . اصيلا. وواضح ان اكثر الشعر الخالد على الزمن كان شعرا ظرفيا في حينه ، وحسبنا أن نشير الى اناشيد واشعار ايلوار ، واراغون ، ومایاكوفسكي ، واشعار الجواهري في الوثبة ، واشعار سليمان العيسى والعديد من الشعراء القوميين في المعارك القومية التحررية الفاصلة .

٣ ــ ان شعر الثورة هو الشعر الذي يتجاوز التصوير الى التغيير ، والتفسير الى التثوير ، فهو شعر يسهم في الثورة والبناء الثوري . وهو شعر يتنبأ ، بالضرورة ، ولايكتفي بالتصوير او التعليق . وهو شعر التجاوز . والتخطي الدائم ...

٤ ــ ان شعر الثورة يمتاز بالعمق المضموني ، وبتغليب المضمون على في حمأة النثر المحض والشعارية . بل يؤمن بالوحدة العضوية الحية بين الشكل والمضمون الثوري ، وبأن المضمون الثوري هو الذي يتطلب شكله المناسب . فتارة يستخدم امكانات الروي العمود ، وتارة يستخدم امكانيات الروي الحر .وتارة يزاوج بين الرويين . وذلك يذكرنا بمقولة ناظم حكمت ان مضمونة يتطلب شكله الشعري ويخلقه . بصرف النظر عن القافية والتفعيلة. والشكل القديم والشكل الجديد .

٥ ــ ان شعر التمرد والثورة واضح ، صلب ، يبني بالصور ، ولايميل نحو الغموض والابهام المطلق ، وهو يستثمر امكانات الاسطورة والدراما

والرموز والبناء الفلسفي والميثيولوجي . ويغتني بكل ذلك .

٦ ــ كما ان هذا الشعر قد يفضل ، احيانا ، الطريق المباشر ، وقد يستعين بالخطابية ، دون ان يقتصر على ذلك . او يتقوقع فيه . فالخطابية ليست شرا مطلقا ، وليس الطريق المباشر في شعر الثورة والمقاومة والحرية بالطريق المرفوض رفضا قاطعا . فالمهم هو المضمون ، كما قلنا ، وللمضمون ان يتطلب اسلوبه المناسب في التوصيل .

٧ ــ ويمتاز هذا الشعر بلهجة الدفاع ، والحدية ، والدعوة والدعاية الثورية ، فهو شعر يعتمد المنطق الجدلي الثوري لا المنطق الشكلي ، ويقوم على الاقناع والمحاججة ، دون مساومة او مهادنة .

٨ ــ وهذا الشعر يمتاز ، ايضا ، بجوهر ايديولوجي ــ جمالي ــ فني رائع يضعه في ذرى الشعر والعملية الشعرية ، فهو شعر الوجدان الاجتماعي ، او غنائية الموضوع ، اذا صح التعبير ، وهو يلاحم بين غنائية الذات وغنائية الموضوع ، بين الانا والاخر ، بين الخاص والعام .

٩ ــ وقد اثبت هذا الشعر امكانيته على النماء والتطور ، والتغلب على بعض العقبات والامراض ، ومنها ، مثلا لا حصرا ، (كوة الميتافيزيقية الحديثة) بشكلها الادونيسي ، او على طريقة جماعة مجلتي شعر وحوار ، كما اثبت قابليته على الاغتناء بامكانيات الاسطورة والرموز والميثولوجيا العربية وغير العربية ، محلية وغير محلية ، وبالعنصر الدرامي ، وبافضل مردود الخطابية المعاصرة مكتسبا جماهيرية عريضة ، وشعبية بالغة (حتى ان العديد من قصائدشعراء الثورة كشوقي والجواهري والعيسى والشابي والكمالي وشلش والحلي والخوري وعبدالرزاق عبدالواحد ومحمد حسين ال ياسين وشوقي بغدادي ومحمود درويش والمقالح وغيرهم) ، تغنى ، وتترنم بها شفاه ابناء الشعب ، بل ان بعض القصائد دخلت كنز التراث الشعبي العربي ، بشكل او باخر) .

١٠ ــ وقدمت المعارك المحتدمة ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية ،

في الثمانين عاما (١٩٠٠ ــ ١٩٨٠) زادا وفيرا الهم الشعراء ، وعلى اختلاف مستوياتهم ومواقفهم ، العديد من القصائد والمقطوعات الشعرية ، كما ان انخراط البعض من الشعراء كمراسلين حربيين ، او حتى كمقاتلين بالسلاحين (سلاح البندقية ، وسلاح الكلمة) ، ومعايشة المعارك يوما بيوم ، وساعة فساعة ، وانجازا فانجاز ، قد اغنى المعركة ، واضاف الكثير الى شعر التمرد والثورة العربية المعاصر ، فقد قدم رصيدا ثرا من الملهمات ، والمعطيات ، يرفد وسيظل يرفد ، على شتى المستويات ، ومن شتى الزوايا والمواقف ، شعر الثورة العربي المعاصر بالعطاء الجم ، المتطور ابدا .